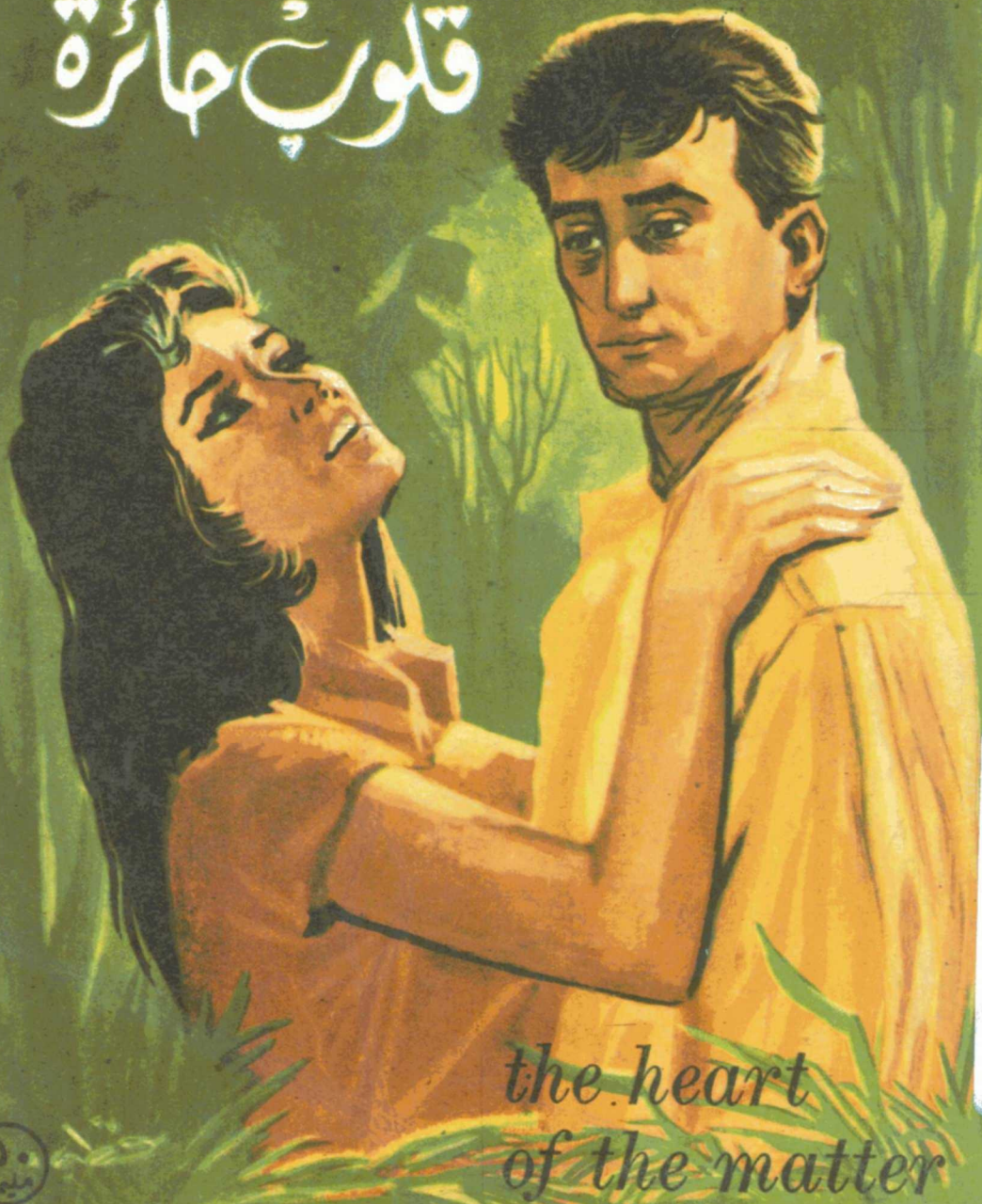


عالمية



روايات

قلوب حائرة



*the heart
of the matter*

روايات
عالمية

العدد رقم ٢٥٦



قلوب هائرة



للمرواى العالمى
جوراجم جرين

ترجمة
مسىن القبانى

كلمة للمؤلف

الأسماء الواردة في هذه الرواية ليست
لأشخاص حقيقيين ، وإنما هي أسماء مستعارة
لأشخاص لا زالوا على قيد الحياة . وكذلك
المكان الذي دارت فيه أحداث الرواية هو منطقة
معينة على ساحل افريقيا الغربى ، عشت فيها
عامين ونصف عام من حياتى فى خلال الحرب
العالمية الثانية . وقد أخفيت اسم المنطقة حتى
لا أسىء الى احد من اصدقائى الذين لقيت منهم
كل حفاوة وتكريم .

جراهام جرين

الفصل الاول الرجل الفامض

جلس ويلسون في شرفة فندق بدنورد في صباح يوم احد . وكانت اجراس الكندرائية تدق داعية الناس للصلاة . وعلى الجانب الآخر من شارع بوند ستريت ، وفي نوافذ المدرسة الثانوية ، جلست الزنجيات الشابات يصففن شعورهن الخشنة . ومسح ويلسون على شاربه وراح يحلم في انتظار كأس الشراب . وكان وهو جالس في مكانه يستطيع ان يرى البحر . واستدار اليه بوجهه . وكانت بشرته تنم على انه وافد جديد الى المستعمرة . ومما يؤكد هذا الظن ايضا عدم اهتمامه بالمعداري الشابات الجالسات في نوافذ المدرسة الثانوية يصففن شعورهن . اما في الشارع نفسه فكان في مقدوره ان يرى الكتبة وموظفي المحافظة يتجهون الى الكنيسة مع زوجاتهم في ملابسهن الزاهية . ولم يكن في الشرفة معه الا رجل هندي طويل اللحية كبير العمامة كان يحاول ان يقرأ له كفه ، او على الاصح ، كان يبذل جهده ليغريه بذلك وهو يعبث ببطاقات التزكية التي يحملها ، كما يعبث اللاعب بأوراق اللعب . اما باقي الاوربيين في المستعمرة ، فكان ويلسون يعلم انهم هناك ، على البلاج ، على بعد خمسة اميال ، يتخففون بالسباحة في مياه المحيط من عناء الحر والرطوبة . ولو كان ويلسون يمتلك سيارة ، لاستقلها وذهب ايضا الى البلاج . ومن ثم كان يشعر بالوحشة في مكانه هذا من شرفة الفندق . وعبثا حاول ان يتسلى بالنظر الى الاكواخ ذات الاسقف المعدنية القائمة على جانبي المدرسة ، المنحدرة في طريق الشاطئ ، او بالانصات الى الضربان وهي تحط او تطير من فوق السقف المعدني الذي يظل الشرفة .

ورأى ثلاثة من ضباط السفن التجارية التي وصلت الى الميناء في قافلة بحرية ، يسرون نحو الفندق . وسرعان ما تحط

بحولهم الغلمان يعرضون عليهم الوانا من السلع الوطنية .
يحاولون استدراجهم الى اماكن اللهو الخاصة .
واقبل احد خدم الفندق يحمل الشراب لويلسون . وبعد ان
اقرغ منه ، وجد ان ليس امامه الا البقاء هكذا فى ملل ، او الضعوى
الى غرفته الحارة حيث يتسلى بقراءة بعض قصائد الشعر . وكان
بطبعته خيالى النزعة ، يميل الى الشعر قراءة ونظما .
وسمع صوتا وراءه يقول :

— معذرة .. هل انت ويلسون ؟
فنظر الى اعلى حيث رأى رجلا يستدير ويقف امامه ببذلة
« كاكية » اللون ، قصيرة البنطلون ، وبوجه فى لون القمح .
واوما براسه وقال :
— نعم انا ..

— هل تسمح لى بالجلوس معك ؟ . اننى ادعى هاريس .
— بكل سرور يا مستر هاريس .
— انت المحاسب الجديد للشركة التجارية لافريقيا الغربية ؟
— نعم .. هل تشرب معى كأسا ؟
— سأشرب عصير الليمون اذا سمحت ، لانى لا استطيع ان
اشرب مواد كحولية فى وسط النهار .
وعاد الهندى ونهض عن مائدته واقترب مرة اخرى من مائدة
ويلسون وقال لهاريس :
— هل تذكرنى يا مستر هاريس ؟ . لملك تزكىنى لدى المستر
ويلسون وتخبره عن مواهبى و ..
فقاطعه هاريس قائلا :
— انصرف ايها الدجال الماكر .
وقال ويلسون لهاريس :
— كيف عرفت اسمى ؟ .
— قرأته على برقية .. فانا رقيب البرقيات هنا . وباله من
همل .. وباله من مكان ! .
وعاد قارئ الكف الهندى يقول :

— أرى يا مستر هاريس أن حظك يقبر إلى حد كبير ، فاذا
نصحت وحيث معى إلى الحمام ، فاني . . .
— قلت لك انصرف يا جونجاوين .

وقال ويلسون :

— ولماذا الحمام ؟ !

— انه لا يقرا الكف الا فيه ، ولعله المكان الوحيد المنعزل هن
اسماع الفضولين ، والعجيب اننى لم أحاول ان أسأل نفسي هذا
السؤال .

— هل انت هنا منذ مدة طويلة ؟

— ثمانية عشر شهرا من أسوأ شهور حياتى .

— وهل ستعود إلى انجلترا قريبا ؟

وشرد هاريس بنظرانه عبر اسقف الاكواخ إلى الميناء . . ثم
قال بنبرات الجالم :

— ان البواخر تسير دائما فى الاتجاه العكسى لامالى ، ولكن
هندما تحملنى واحدة منها إلى بلادى ، فلن ترى هذه السواحل
وجهى مرة أخرى . . أبدا . . اننى اكره هذا المكان . . واكره كل
شيء فيه . . انظر . . انظر إلى المقبل فى الطريق . . انه سكوبى .
ونظر ويلسون بلا اهتمام إلى سكوبى . ولم يكن يعرف فى
تلك اللحظة مدى قوة الرباط الذى كان القدر فى تلك اللحظة
يلفه حوله وحول سكوبى هذا . . وكان رجلا متوسط الطول ، فى
العقد الخامس من عمره ، هادىء السمات ، وادع النظرات ، يسى
متمهلا كأنما ذهنه مشغول بأفكار كثيرة .

وعاد هاريس يقول :

— انه يجب هذا المكان ، وكل شيء فيه .

— أهو من رجال الشرطة ؟

— نعم . . انه نائب حكامان الشرطة . . وكان مرشحا ليكون

الحكامان فى هذه الأيام ؟ لولا

وصمت هاريس برهة قبل أن يستنرد قائلا :

- ولعله أيضا من الذين يأخذون الرشوى من التجار اللبنانيين
هنا .. هذا اذا صحت الشائعات .
- اللبنانيين ؟ ! .

- نعم .. ان هذه المستعمرة هى فى الواقع صورة جديدة
لبرج بابل القديم ؟ . لان فيها أكبر عدد ممكن من مختلف الاجناس
والالوان .. هنود من جزر الهند الغربية ، وهنود حقيقيون ؟
وافريقيون ، ولبنانيون ، وانجليز ، واسكتلانديون ، وإيرلنديون ،
وفرنسيون .. وغير هؤلاء كثير .

- وماذا يفعل اللبنانيون هنا ؟ .
- يجمعون الثروات . انهم يمتلكون جميع المتاجر فى هذه
المنطقة كلها .. ويتاجرون أيضا فى الماس .

فقال ويلسون باهتمام :
- اعتقد انه يوجد ماس كثير هنا ، مهرب من جنوب افريقيا ؟
- نعم .. ان المهربين يبيعونه للتجار اللبنانيين ، وهؤلاء
يبيعونه للامان بأسعار خيالية .
- الديه زوجة هنا ؟ ! .

فنظر هاريس الى ويلسون فى دهشة .. ثم ابتسم وقال :
- آه .. انقصد سكوبى ! . نعم .. ان زوجته معه هنا ..
وهى تصغره بنحو عشرة .. جميلة جدا .. لاشك انك ستراها
بعد يوم او يومين . فهى رئيسة الجمعية الثقافية فى المستعمرة
ومحبة للفن والشعر ، وقد اقامت ذات مرة معرضا للفنون من
بقايا البواخر الفارقة .. مسكين زوجها سكوبى ، كان الله فى
هونه .. اتشرب كاسا آخر ؟ .

وقال ويلسون :
- اعتقد هذا ..

استدار سكوبى الى شارع جيمس ستريت ؟ واجتاز دان
المحافظة ، ودخل بناية الحكمدارية ، حيث مضى فورا الى غرفته

التي لم يكن بها غير مكتب عادي وبضعة مقاعد من الخيزران ؟ وعلى
الحكمدار زوج من القيود الحديدية الصدئة .

وفيما هو جالس يقلب بعض السجلات أمامه ، اقبل الجاويش
« المندى » ، وادى التحية العسكرية ، وقال له سكوبي :

— هل هناك شيء ؟

— ان الحكمدار يريد ان يراك يا سيدى ■

— هل حدثت تبليغات ؟

— رجلان من الوطنيين كلنا يتعاركان فى الميناء .

— بسبب فتاة ؟ !

— أجل يا سيدى ■

— شيء آخر ؟ !

— لا يا سيدى . . .

— حسنا . . لسوف اذهب الى الحكمدار بعد قليل ■

ولما دخل سكوبي غرفة الحكمدار . . قال هذا له :

— اجلس يا سكوبي .

وكان الحكمدار رجلا فى نحو الثالثة والخمسين . ورغم هذا
كان يعتبر اكبر موظفى المستعمرة سنا . وكان قد امضى فى الخدمة
نحو اثنين وعشرين عاما . ومن ثم قرر ان يطلب احواله الى
الاستيداع ليقضى بقية عمره فى مزرعة خاصة له بوطنه .

وقال الحكمدار لسكوبي :

— اننى سأعتزل الخدمة يا سكوبي . .

— أعرف هذا . .

— يبدو ان كل من فى المستعمرة يعرف هذا .

— سمعت الناس يتبادلون الحديث عن هذا الامر ■

— وهل سمعت عن من سيتولى المنصب بعدى ؟ . .

فهز سكوبي كتفيه وقال :

— سمعتهم يقولون اننى لن اتولاه بعدك .

— ان هذا ظلم يا سكوبي . . لقد بدلت كل ما استطيع من

بجهد مع المسئولين في الحكومة البريطانية لكي يسندوا المنصب
إليك ، ولكن يبدو ان لهم وجهات نظر أخرى .
- ان هذا من حقهم ..

- والمهم الآن هو ماذا تنوى ان تفعل . انهم سيرسلون رجلا
آخر من كامبيا يدعى بيكر . انه اصغر سنا منك . فهل تحب ان
تستقيل او تنقل الى مكان آخر يا سكوبي ؟ .
- اننى افضل البقاء هنا .
- ولكن زوجتك لن ترحب بهذا ..

فقال سكوبي لنفسه : « مسكينة لويز .. لقد جئت بها الى
هذه البلاد منذ خمسة عشر عاما . وقد تحملت كل شيء لكى
أرتقى يوما الى منصب الحكمدار وتصبح هى زوجة الحكمدار »
وتقيم فى البيت الجميل المخصص لهذا المنصب . ولكن هذا
الامل سوف يفلت من يديها فى آخر لحظة ، وبعد كل هذه السنوات
من الصبر » .

وقال بصوت مسموع :
- اعرف هذا يا سيدى ، ولكن ليست لنا حيلة امسح الامس
الواقع ..

- اننى مندهش لتمسكك بالبقاء هنا .
- ان المكان جميل ، لا سيما فى الليل .
فابتسم الحكمدار بشحوب .. ثم قال :
- هل تعرف آخر ما يقال عنك فى المحافظة ؟ .
- اعتقد انهم يقولون اننى آخذ الرشاوى من التجار ..

- لا .. انهم لم يصلوا فى احاديثهم الى هذا . ولكنهم يقولون
انك تعاشر النسوة السوداوات ، وانك تفضلهن على الاوربيات »
وانك لم تحاول يوما ان تغازل احدى زوجاتهم الجميلات » ولذلك
فهم يشعرون بالاهانة من هذا السلوك .

فقال سكوبي بكل هدوء :

— لم أعد في السن التي تصلح لمفاصلة إحدى زوجاتهم للاستق
— ويقولون أيضا أنك تدمن الشرب سرا .. وانك تتظاهر فقط
بالاستقامة والتقوى .. يبدو لي أنهم مجموعة من الخنازير
يا سكوبي ..

— ان نائب المحافظ رجل ممتاز يا سيدى ..
فضحك الحكمدار وقال :
— نعم .. انه ممتاز فعلا .. ولكنك اعجب انسان وابنه في
حياتي يا سكوبي ..

* * *

كان سكوبي قد خدع فيما يتعلق بالمساكن اثناء آخر عطلة
سنوية قام بها قبيل الحرب العالمية الثانية . فلما عاد منها الى
المستعمرة ، وجد ان المنزل الاثني المريح المخصص له في المنطقة
الاوربية ، قد سلم الى المفتش العام بالمستعمرة ، المستر فيلوز ،
ووجد نفسه وزوجته منقولين الى منزل آخر مكون من طابقين ،
كان في الاصل سكنا لأحد التجار ، ويقع في منطقة تنتشر فيها
المستنقعات في موسم الامطار .. وكانت واجهة البيت مقابلة
للبحر ، بحيث يمكن للواقف في نوافذها ان يرى مياه المحيط عبر
المسقف الاكواخ الممتدة امامه ..

اما الناحية الخلفية ، حيث جراج السيارة ، فكانت على
مسافة ميل واحد من المساكن الشعبية التي اقامتها المحافظة
للطوارئ ..

ولما دخل البيت نادى على زوجته :
— لويز .. لويز ..

ولم يكن في حاجة لان ينادى عليها ، لانها اذا لم تكن في
غرفة الجلوس ، فلن تكون في أية غرفة اخرى ، الا غرفة النوم ..
اما المطبخ ، فكان اقرب الى الكوخ المحق بالباب الخلفي للبيت ..
ولكنه اعتاد على ان يناديها هكذا كلما دخل البيت ، وقد
تكونت هذه العادة منذ عهد الحب والاهفة عليها .. أما الآن ، فانه

يشعر بضخامة مسئولته لاسعادها كلما ازداد احساسها بأنه له
وعد يحبها .

وكانت هي ، فى الايام الخوالى ، تستجيب لندائه ، ولكنها لم
تكن من النوع الذى يترك العادات تستبد به . كما انها لم تكن
يوما قادرة على التظاهر بما ليس فيها . كانت دائما صادقة مع
نفسها ، كالحيوانات الاليفة ؟ . وحتى اذا مرضت كانت ، كهذه
الحيوانات ، لا تلبث حتى تسترد صحتها بسرعة مذهشة .

- وراها فى غرفة النوم ، راقدة على الفراش ، تحت الكلة
« الناموسية » فى حالة استرخاء كامل . شعرها مرسل ، وعيناها
مغمضتان ، وجسدها شبه العارى فى غلالته الرقيقة متراخ
تماما .

ووقف ساكنا كالجاسوس فى ارض غريبة . وكان يشعر حقا
انه يقف فى ارض غريبة الآن .. فاذا كان البيت فى نظره هو
الرضا بالواقع ، واداء الواجب والاعتياد على عدم التدمر من
الحياة او الاحياء ، فقد كان البيت فى نظرها حياة متطورة الى
اعلى .. وكانت منضدة الزينة مليئة باشياء مختلفة من ادوات
التجميل ، وبينها صورة له وهو بملابسه العسكرية حين عمل
ضابطا للعلاقات العامة فترة ما اثناء الحرب ، وصور عديدة للوزير
نفسها فى اوضاع مختلفة ، وفى مراحل متتابعة من العمر .

ومرت فى ذاكرته الاعوام الخمسة عشر التى مرت على زواجه
بها ، وكيف كان فى اول امره معها يحبها بكل قطرة من دمايته ، ثم
كيف اخذ هذا الحب يحتضر عاما بعد عام ، من ناحيته هو على
الاقل ، بسبب الاختلاف الشديد فى وجهة نظر كل منهما للحياة .
ولكن فتور حبه لم يكن يمنعه من الشعور الدائم بأنه مسئول عن
سعادتها .. عن توفير كل اسباب السعادة لها بقدر ما يستطيع .
لهذا الشعور بمسئوليته هذه ، جملة يابى ان يوقظها ليحمل اليها
لبيا تخطيه فى الترقية ، ومن ثم استرق الخطا ، وهبط الدرجات
للداخلية التى كانت لويز قد كستها بالسجاد وزينت جدرانها
باللوحات ، وعاد الى غرفة الجلوس التى كانت تحتوى خزانة كبيرة

من الكتب * ومقاعد مريحة ، وسجادة فاخرة * ومزيد من الصور
على الجدران ، وستائر على النوافذ ، وخزانة للطعام وضعت
قوائمها في اوعية مائبة لحماية الاطعمة من اغارات النمل .
وكان التابع يعد المائدة لعداء شخص واحد .

وسأله سكوبى قائلا :

- ماذا حدث للسيدة يا على ؟

ورد التابع على قائلا :

- الم فى المعدة . .

واوما سكوبى براسه ، وراح يتناول طعامه وتابعه الامين يقوم
على خدمته ، وكان سكوبى يختلس النظر بين الحين والآخر الى
وجه تابعه ، ثم يشعر بفيض من الراحة يفمره ، وكان يقول لنفسه :
« لو كان الناس جميعا لهم وفاء واخلاص هذا التابع هلى ، اذن
لما عرف احد معنى الشقاء » .

وتذكر عدد المحاولات التى بذلها الاوربيون ليظفروا بخدمات
تابعه على ، ولا سيما حين كان يقيب عنه بضعة اشهر اثناء عطلته *
ولكن عليا كان دائما اول من يهرع لاستقباله على الميناء ! .

وفجأة سمع صوت زوجته المتذمر وهى تناديه :

- تيكى . . تيكى ! .

واسرع اليها . .

كانت جالسة تحت الكلة ، شاحبة الوجه ، ذابلة العينين :

فقابل عليها ملهوها يقول :

- هل تشعرين بتحسن يا حبيبتى ؟ .

- كانت المسز كاسل تزورنى .

- اذن فلك العلز بالشعور بالمرض بعد هذه الزيارة .

- وكانت تحدثنى عنك .

فتظاهر بالابتسام وقال :

- عنى انا ؟ !

— قالت ان الحكماء سيحال الى الاستبداع ، وانهم سينخطونك
في الترقية .

— يبدو انها تتخيل اشياء كثيرة في احلامها .

— المهم .. هل هذا صحيح ؟

اقهر كتفيه في استسلام وقال :

— نعم . وكنت اعرف هذه الحقيقة منذ اسابيع . ولكن ..

لا عليك يا عزيزتى .

فقالت لويز بصوت كالولولة :

— اننى لن أستطيع ان اذهب الى النادى واواجه نظرات

الشماتة او الرثاء بعد اليوم .

— ان الامر ليس الى هذا الحد من السوء ، وليست هذه

اول مرة يتخطى فيها المسئولون احد الموظفين في الترقية .

— انك ستستقيل ياتيكى . اليس كذلك ؟

— اعتقد اننى لا أستطيع ان افعل هذا يا حبيبتى .

— ان المسز كاسل في جانبك . انها نائبة جدا على هذا

الوضع . وهى تقول ان الجميع يتحدثون عن هذا الموضوع .
هل انت من الذين يأخذون الرشوة من التجار ياتيكى ؟!

— لا يا عزيزتى .

فتنهت لويز وقالت :

— حمدا لله . لقد شعرت بتعاسة بالفه حين سمعت هذا

وتركت القداس قبل ان تنتهى مراسمه ، ولا شك ان هؤلاء

المتقولين ظالمون . ولكن عليك ياتيكى الاتخاذ الامر بهذه البساطة ..

عليك ان تفكر في امرى .

— طبعا طبعا يا عزيزتى .

ثم جلس على حافة الفراش ، ومد يده من تحت الكلة ، ولمس

ودمها ، وعندئذ بدأت جبات العرق تتجمع في مكان اللمس ، من

قرط حرارة الجو ، وعاد هو يقول :

— اننى افكر في امرك كثيرا يا لويز . ولكننى امضيت هنا

لخمسة عشر عاما ، ولهذا اعتقد اننى الفنت هذا المكان ، ولن اشعر
بالراحة فى مكان آخر اذا طلبت نقلى ،
- انك تستطيع ان تستقيل .
- ان المعاش لن يكفى

- اعتقد ان فى مقدورى ان اكسب بعض المال من الكتابة .
لقد قالت المسز كاسل فى ذاك اليوم اننى موهوبة وينبى انى
استغل مواهبى فى الكتابة ونظم الشعر لكسب المال . آه لو كان فى
مقدورنا ان نذهب الى جنوب افريقيا . اننى واثقة من قدرى
على احتمال الحياة هناك .

- لعلى استطيع ان احصل لك على تذكرة سفر الى هناك .
ان حوادث اغراق البواخر قد قلت فى الاسابيع الاخيرة . ومن
حقك ان تستمتعى باجازة طويلة . .

فقاطعته قائلة ؛

- لقد جاء وقت كنت تفكر فيه فى الاستقالة ، وتضع مشروعات
حياتنا المقبلة .

فقال مراوغا ؛

- ان الانسان يتغير مع مرور الزمن يا حبيبى .
'فقلت فى حدة ؛

- كانك لن تفتقد فى حين اقضى الاجازة بعيدة عنك .
فضفط على يدها برفق وقال ؛

- ما هذا اللغو يا عزيزتى ؟ يجب ان تنهضى وتتناولى بعض
الظمام .

- تيكى . . هل تحب احدا . . غير نفسك ؟

- لا . . اننى احب نفسى فقط . . وعلى ايضا . . لقد نسيت

هلى ، فاننى احبه ايضا . . اما انت . .

فقاطعته قائلة ؛

- واخت على . .

- هل له أخت ؟ ؟

« ان لهم جميعا اخوات. اليس كذلك ؟ لماذا لم تحضر القداس
اليوم ؟

- كانت نوبتى للعمل هذا الصباح ، هل نسيت هذا ؟
- لم يكن فى مقدورك ان تغير هذه النوبة ؟ ان ايمانك ضعيف
يا تيكى .

- ان لك من التدين والتقوى ما يكفيننا معا . هلم يا عزيزتى
لتأكلى شيئاً .

- تيكى .. احيانا اظن انك لم تعتنق المذهب الكاثوليكي الا
لكى تتزوجنى . انه لايعنى فى نظرك شيئاً : اليس كذلك ؟

- اسمعى يا حبيبتى . انزلى وتناولى بعض الطعام ، ثم امضى
فى السيارة الى البلاج لتنعمى ببعض الهواء المنعش .
وشردت بنظراتها نحو النافذة وتمتمت قائلة :
- لشد ماكان الموقف سيتغير لو انك جئت وقلت لى انهم
سيرقونك الى منصب الحكمدار .
فقال لها ببطء :

- انت تعرفين ياعزيزتى ان اعباء المحافظة على الامن هنا ،
ولاسيما فى هذه الفترة من الحرب ، جسيمة .. ان قوات حكومة
فيشى مرابطة وراء الحدود ، وعمليات تهريب الماس لا تنقطع ..
ولا شك ان منصب الحكمدارية يحتاج الى رجل اصفر سنا منى
واقدر على تحمل هذه الأعباء .

- اننى لم افكر فى هذا كله .
- هذا هو السبب الوحيد . انها الحرب . ولا شئ غيرها .
- ان الحرب تقلب كل شئ رأسا على عقب .. اليس كذلك ؟
- انها تتيح الفرص للأصفر سنا .

« حسنا يا حبيبى .. لسوف أهبط معك واحاول أن اتناول
قيشاً من اللحم البارد .

تسحب يده من يدها ، وكانت قطرات العرق تساقط منى ؟
ثم قال :

— هذا احسن . سوف اخبر عليا ليعد لك المائدة .

وفي المساء ، تغير الجو وامسى منعشا . . . وبدات النسمات البليلة تهب من ناحية البحر ، وتختلط بالزهور الكثيرة النامية في كل مكان ، وتحمل اريجها كالانفاس العاطرة . وكان سكوبي يقود سيارته ، وزوجته بجواره ، في الطريق الممتد الى اعلى التلال ، حيث يقوم نادى المستعمرة . وكانت زوجته تقول :

— ترى هل سنجد أحدا هناك ؟

— بكل تأكيد . . . فان سيارة المكتبة العامة وصلت اليوم .

— اذن اسرع . فان الجو داخل السيارة لا يطاق .

وبعد برهة قالت :

— ان الكتب في المرة السابقة وصلت في حالة يرثى لها .

— احقا !!

ووصلت السيارة اخيرا الى مدخل النادى ، وكان عدد السيارات الواقفة في الانتظار ينم على ان عدد الوافدين على النادى في تلك الليلة كبير .

وافترق سكوبي عن زوجته داخل قاعات النادى ، وفيما هو يفحص بعض الكتب الواردة الى المستعمرة ، سمع حديثا يدون باصوات عالية بين لفيف من الأعضاء ، فتقدم منهم حيث سمع مفتش الامن المدعو فيلوز يقول للضابط برجستوك ، الشاب :

— اننى لا اوافق طبعا على فتح ابواب النادى لكل وافد

جديد . . . اننى لست مفرورا ولا رجعيا ، ولكن لا بد من ان يكون

لكل شيء حد معين . ان علينا ان نرعى مصالح زوجاتنا ايضا .

وقال سكوبي متسائلا :

— ماذا حدث يا فيلوز ؟

فالتفت فيلوز اليه وقال بنفس الحدة :

— اننى اتحدث عن اعضاء الشرف بالنادى . لايجوز لهم ان

يصحبوا معهم زائرين ايا كانت مراكزهم . لقد حدث منذ بضعة

أيام ان صحب أحدهم جنديا برتبة نقر . ومهما بلغت الروح الديمقراطية في الجيش ، فان هذا لا يكون على حسابنا هنا . وعلينا ألا ننسى أن المشروبات الروحية في هذه الأيام لاتكاد تكفى الأعضاء
٥٥٥ فكيف بالزائرين ؟

وقال الضابط برجستوك وهو يتمايل من فرط السكر :

- هذا هو المهم .

وقال سكوبى :

- ولكن .. ما سبب هذا كله ؟

وقال فيلوز :

- ان طبيب الاسنان في الوحدة التاسعة والأربعين قد احضر معه الليلة شابا يدعى ويلسون وطلب ان ينضم الى النادى . وقلنا انار هذا في نفوسنا الحرج الشديد .

- لماذا ؟ ماذا يعيبه ؟

- انه موظف بالشركة التجارية لافريقيا الغربية . فماذا يريدنا

من الانضمام الى ناد كهذا ؟

وقال سكوبى

- وابن هذا المدعو ويلسون ؟

فاشار برجستوك الى حيث كان يقف ويلسون وقال :

- انه الواقف هناك ، ان المسكين يقف كما ترى بمفرده

لقد جاء منذ ايام قليلة الى المستعمرة .

وكان ويلسون واقفا بمفرده حقا ، ينظر الى خارطة بارزة

تبين معالم الساحل الافريقى الغربى . وفي تلك اللحظة تقدم

تحوه سكوبى ورجل آخر يدعى رايت ، قال له :

- هل انت ويلسون ؟ لقد رايت اسمك في سجل الفندق اليوم

- نعم .

- اننى رايت .. مساعد السكرتير العام للمحافظة .. وهذا

هو الميجور سكوبى نائب الحكمدار .

وقال ويلسون وهو يصافح سكوبى :

- لقد رايتك هذا الصباح من شرفة فندق يدفورد .

وشعر سكوبي بالمطف عليه وهو يراه منبؤدا كالكلب الغربى
ومن ثم قال له :

- اشرب معى كاسا ؟

- بشرقنى هذا يا سيدى .

وتقدمت عندئذ لويز ، فقال سكوبي يقدمه اليها !

- وهذه زوجتى . . تعالى بالويز . . هذا هو المستر ويلسون .
فقال لويز بتحفظ :

- لقد سمعت الكثير عن المستر ويلسون الليلة .

فابتسم سكوبي وقال :

- اترى . . انك رجل مشهور ! ويبدو انك نجحت فى اقتحامك

معقل نادى هذه المستعمرة .

- ارجو الا اكون متطفلا . . لقد دعانى الميجور كوبر طبيع

الاسنان .

وقال رايت منصرفا :

- هذا يدكرنى بانى اريد ان احدد موعدا مع الدكتور كوبر .

اخشى ان يكون فى لثتى خراج .

ويعد انصرافه ، قال ويلسون :

- عندما اخبرنى كوبر ان سيارة المكتبة العامة ستصل النادى

الليلة ، رايت ان انتهب الفرصة لاشترى بعض الكتب .

وقالت لويز وقد انبسطت اسارير وجهها :

- اتحجب القراءة يا مستر ويلسون ؟

وادرك سكوبي ان زوجته سوف تأخذ هذا الشاب المسكين

تحت جناحها ، ولاسيما لانه وافد جديد لايعرف شيئا كثيرا من

لشئون المستعمرة .

وقال ويلسون متلعثما :

- نعم .

- اى نوع من القراءة . . اننى احب قراءة الشعر .

وكتم سكوبي انفاسه وهو يرجو فى اعماق نفسه ان يكون

ويلسون من هواة قراءة الشعر . ولم يلبث ان تنهد في ارتياح
عندما سمعه يقول :

- نعم .. اننى ايضا احب قراءة الشعر ..
وقال سكوبى لنفسه !

- حمدا لله .. لقد وجدت لويز صديقا يحب الشعر ..
لاشك انها ستمضى السهرة سعيدة .

ومضى بعيدا وهو مطمئن على زوجته .
وقال له احد اعضاء النادي حين رآه متوهج الوجه !

- كن على حذر باسكوبى . ان هذا الجو لا يصلح للانفعالات
الشديدة .. مارايك فى كاس .

وجلس الاثنان الى مائدة فى ركن الصالة ، ومال عضو النادي
على اذن سكوبى وقال له :
- هل رايت ذلك المدعو ويلسون ؟

- نعم .

- يقول عن نفسه انه يعمل فى الشركة التجارية لافريقيا
القريبة .
- هذا صحيح .

- ولكننى سمعت انه رجل غامض موقد هنا لهمة غامضة .
فما رايك ؟

ونظر سكوبى الى حيث كان ويلسون يقف مع لويز الباسمة
السعيدة ، ثم قال :

- لا اعرف عنه الا انه يحب الشعر .. وهذا يكفى ..
وكانت لويز فى تلك اللحظة تقول لويلسون باسمه :

- يجب ان تانى الينا قريبا وتتناول معنا طعام العشاء ؟
فان لدى فى مكتبة بيتى عددا كبيرا من دواوين الشعر لكبار الشعراء
فى العالم ..

فقال ويلسون وهو يتأملها بوجه مضطرب بالانفعال !
- يسعدنى هذا ..

« ما رأيك الليلة ؟ ! »

وفي تلك اللحظة أقبل سكوبي ليخبر زوجته بأنه يريد أن
ينصرف ، وعندئذ قالت له :

– انصرف انت يا سكوبي ، اما انا فساقي هنا قليلا ..
وربما عدت مع المستر ويلسون لكي أعيده كتابا ..
وانصرف سكوبي وهو يشعر بأن ويلسون انقذ الموقف وحول
الليلة من التعاسة الى السعادة .

« الفصل الثاني »

« حديث عن الحب »

تغادر سكوبي النادي وذهب في جولة ليلية كالعتاد في شوارع
الميناء ، وحول المخازن وفي مداخل الأرصعة ، وفيما كان يصعد
بسيارته أحد التلال ، شاهد سيارة التاجر اللبناني يوسف واقفة ،
وقد جلس يوسف في المقعد الامامي نائما كما بدا لسكوبي ، وغادرو
هذا سيارته ، وتقدم نحو يوسف الذي كان يبدو بشعره الأبيض
الغزير ووجهه الأحمر المكتنز وقميصه المفتوح عند العنق كرجل
رياضي له بطولات سابقة في حمل الأثقال .

وقال له سكوبي في صوت ينم عن الضيق :

– ماذا بك يا يوسف ؟ هل تعطلت سيارتك ؟ أتريد مساعدة ؟
وفتح يوسف عينيه ، وافترت شفثاه عن بسمة كشفت عن
أسنان ذهبية ، ثم قال :

– اوه .. الميجور سكوبي .. حقا ان الصديق الحق ، هو
الصديق الذي ينفع في الشدة .

وقال سكوبي لنفسه وهو يكظم « ترى لو رأني احد الآن في
هذه الساعة من الليل اتبادل الحديث مع يوسف ، فماذا يقول ؟ الا
يكون من حقه ان يؤكد الشائعات بانى اتناول منه الرشاوى ؟ »

ولكنه هر كتفيه ولم ينظر الى التاجر الا على انه رجل في
صحنة ، ومن ثم قال !

– ألا تريد شيئاً ؟

– لقد فرغ البنزين منك نصف ساعة ، ومرت سيارات كثيرة
أبني سائقوها أن يتوقفوا ، ومن ثم أخذت أدعو الله أن يرسل إلى
وجلا لا تنقصه الشهامة . . . فإذا هو أنت .
– ليس لدى فائض من البنزين لأزودك به . . .

أفغادر يوسف سيارته ، وقال وهو يفتح باب سيارة سكوبي
ويجلس بجانبه :

– ان كل ما أرجوه ان توصلني الى المدينة ، وسوف أرسل
السائق بالبنزين ليعود بالسيارة .
وفيما كان سكوبي ينطلق بالسيارة ، قال له يوسف ا

– هل حقا ما سمعت عن تركك للخدمة ؟ !

– لا . . . اننى باق فى عملى .

– آوه ، انى آسف . . . الواقع اننا معشر اصحاب المتاجر
لانملك الا ان نسمع الكثير من الشائعات .
– كيف حال التجارة يا يوسف ؟

– ليست سيئة ، وليست جيدة .

– لقد سمعت أنك حصلت على ثروة ضخمة منذ قيام
الحرب . انها الشائعات طبعاً يا يوسف .
فهز يوسف كتفيه وقال :

– انك تعرف كيف حال التجارة فى هذه السنوات . ان
متجرى هنا فى شارع تاون حسن الاحوال لانى اشرف عليه
بنفسى . وكذلك الحال فى متجرى بشارع ماكوبى لان اختى تدير
بنفسها . أما متاجرى فى شارعى بوند ستريت وديربان ستريت
أفحالتها سيئة لان عمالها يخدعوننى منتهزين فرصة جهلى بالقراءة
والكتابة .

– ان الشائعات تقول انك تحتفظ بجميع ايراداتك ومصروفاتك
وزماتك واثمان سلعك فى رأسك :
فأرسل يوسف ضحكة قصيرة وقال :

« أن ذاكرتي لا بأس بها . إلا انها تجعلني مؤرقا طيلة الليل »
« ولولا استعانتى بكأس أو كأسين من الويسكى لما عرفت طعم النوم »
- اين تريد ان تهبط ؟ !

- اوه . . . اريد ان امضى الى بيتى لانام ياميجور سكوبى .
وبيتى فى شارع تاون . ما رايك فى ان تشرب معى كأسا .
- آسف يا يوسف ، فانى فى وقت العمل الآن .»

- هل تسمح لى اذن بارسال مقطع من القماش الحريرى
الفاخر للمسر لويز اعرابا عن شكرى لك ؟
- هذا آخر شيء اسمح به !
فاوما يوسف برأسه وقال :

- نعم ، نعم ، ان لك العذر . الواقع ان التجار امثال زميلى
طلوت قد افسدوا كل شيء بما يقدمونه من رشاوى لرجال
الشرطة .

قابتسم سكوبى وقال :

- انك تمنى ان تبعد طلوت عن طريقك لانه اقوى مناس
لك فى التجارة ، اليس كذلك ؟

- نعم ياميجور . . ان ازاحته من الطريق سيكون فى صالحى
وصالحك ايضا .

- لقد بحث له بعض الماس المزيف فى العام الماضى . . اليس
كذلك ؟

- اوه ميجور سكوبى ؟ انك لاتعتقد حقا اننى اهبط الى هذا
المستوى . اننا معشر الجالية اللبنانية هنا نعانى الكثير من الظلم
بسبب هذه الشائعات عن تهريب الماس . كما انه لايعقل ان اخذ
مواطننا لى . . .

فقال سكوبى بحزم :

- ان عمليات تهريب الماس منافية للقانون . ومع ذلك فان
بعض المهربين يجدون الشجاعة الكافية ليلفوا الشرطة عن خداع
بعضهم البعض فى القيام بهذه العمليات .

- انهم يا ميجور سكوبى جهلاء حمقى .

« ولكنك لست جاهلا ولا احمق يا يوسف !

- ان شئت الحقيقة ياميجور سكوبى قلت لك ان الجاهل
الاحمق هو طالوت الذى قدم بلاغا يشكونى فيه بانى بعث له
ماسا مزيفا .

وهز سكوبى كتفيه وقال :

- اسمع يا يوسف ، لسوف ياتى اليوم الذى اقبض فيه عليك
متلبسا بمخالفة القانون .. وعندئذ لن يجديك هذا التظاهر
بالبراءة .

وابتسم يوسف قائلا :

- ربما .. وربما استمرت الصداقة وطيدة بيننا .. وهذا
هو ما ارجوه من صميم قلبى .

ولما وصلا الى باب بيت يوسف حيث اسرع احد خدمه لاستقباله
قال التاجر وهو يهبط من السيارة ؟

- اننى ارجو ان تشرب معى كأسا يا ميجور سكوبى .

- لا .. وشكرا ..

- ان الباخرة اسبرانكا ستصل الى الميناء غدا .. اليس كذلك ؟

- ربما .

- الا ترى ياميجور سكوبى ان من اضاءة الوقت هذه الحملات

التفتيشية التى تقومون بها بحثا عن الماسى المهرب فى البواخر ؟
ان كل مجهود يبذل فى هذا السبيل ، هو مجهود ضائع مالم يكن
لديكم معلومات موثوق بها عن الاماكن التى يخبأ فيها الماسر المهرب
هذه اليس كذلك .

- هذا صحيح .

- فهل تعتقد انك ستعثر يوما على قطعة ماس مهربة فى

باخرة .

- لا ..

- ولا انا ايضا .

واستقل سكوبى سيارته فى طريق العودة الى بيته وهو
يشعر بالراحة . ان زوجته لويز لابد ان تكون سعيدة الآن وهو

بجاسة مع هذا الوافد الجديد المدعو ويلسون ؟ تعرض عليه دواوين الشعر ، وتقرأ له بعض القصائد ، أو تسمعه وهو يقرأ لها بعضها . ومن ثم فإن في مقدوره أن يواجه الساعات التالية مطمئنا الى ان لويز لن ترعجه بحديثها عن منصب الحكمدارية الذي افلت منها ، وعن ضيقها بالحياة في هذه المستعمرة ، وعن رغبتها في السفر الى مكان آخر تستجم فيه . .

وعهد بالسياره الى تابعه على لتي يودعها الجراج ، ثم طلبج منه ان يأوى الى مخدعه بعد ان يفرغ من هذه المهمة ، ثم راح يصعد الى غرفة الجلوس وهو يفكر في الباخرة اسبرانكا التي ستصل في اليوم التالي ، وفي حملة التفتيش التي سيقوم بها ، وفي الساعات الطويلة الضائعة والجهد المضنى الذي لاجدوى منه اثناء قيامه بهذه الحملة . وفي غرفة الجلوس ، رأى لويز جالسة في مقعد وثير ، وعند قدميها جلس ويلسون ، وعلى الأرض حولهما هدد من كتب الشعر ، وكان وجه لويز ينضح بالسعادة والرضا .

وبعد ان حياهما ، قالت له لويز :

- هل تستطيع يا حبيبي تيكى ان توصل المستر ويلسون الى الفندق بالسيارة ؟

وقال ويلسون بسرعة :

- اننى استطيع المشى .

- لا .. لا .. هذا غير معقول .

وقال سكوبى :

- ولماذا تمشى وسيارتى تحت امرك ! هلم الآن اذا شئت .

وقال ويلسون وهو يصافح لويز مودعا :

- شكرا على هذه الجلسة اللطيفة يامسز سكوبى .

وقال سكوبى وهو يرى وجه زوجته الناضج بالسعادة :

- يجب ان تكرر الزيارة يا مستر ويلسون كلما وجدت

وقت فراغ .

ثم صحبه ليحملة في سيارته الى فندق بدفورد .

ووقف سكوبي في غرفة نومه بعد عودته ، وبعد أن خلع ملابس الخروج وارتدى ثياب النوم ، وراح يرهف السمع لانفاس لويوز الراقدة في الفراش تحت الكلة . وادرك من عدم انتظام انفاسها ، انها لم تستغرق بعد في النوم ، ومن ثم وضع يده ولس شعرها المبلل بالعرق ، ولكنها ظلت متظاهرة بالنوم كأنها تخشى ان تفتح عينيها وتفضح سرا تخفيه في اعماق نفسها . وانحدرت اصابعه الي اجفانها ، فاذا هي مبلة ، لا بالعرق ، وانما بالدموع ، وخفق قلبه ، وشعر ان مسؤوليته في اسعادها تحتم عليه ان يخفف عنها احزانها في تلك اللحظة ، رغم احساسه العميق بالحاجة الي النوم .

وقال لها كهادته دائما في مثل هذه المواقف :

- يا حبيبتي .. اننى احبك .

وقالت كما اعتادت دائما ان تقول :

- اننى اعرف هذا .. اعرف هذا .

ودقت الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، وادرك في تعب وارهاق ان هذا الموقف سيستد ساعتين او ثلاثا حتى تهدأ اعصاب لويوز وتستغرق في النوم . ولكن عليه ان يحتمل كل مزيد من التعب في سبيل اسعادها . وقال لها وهو يتحسس جبينها ؟

- ان موسم الامطار وشيك ، وسوف تشعرين بالتحسن هندئلا .

فقالته وهى تكتم شهقة بكاء :

- اننى اشعر بالتحسن الان .

- اذن لماذا تبكين .. اخبريني .. اخبرنى تيكى !

ورغم كراهيته لهذا الاسم الذى تدلله به زوجته ، ورغم توتر اعصابه حين يسمعا تناديه به ، فانه ارضاء لها ، يذكرها به كلما قفلت عن مناداته به ، ومن ثم قالت بصوت باك :

- اوه .. تيكى .. تيكى .. اننى لا استطيع الاحتمال اكثر مما فعلت .

- كنت اظنك الليلة سعيدة .

- نعم كنت سعيدة . ولكن اية سعادة هذه التي احتلها
من تطف كاتيبي حسابات معي ؟ ا اخبرني يا فيكي ، لماذا
لا يحبوننى هنا ؟

- ان النساء يفرن منك ، والرجال غاضبون او ساخطون لانك
لا تستجيبين لمغازلاتهم .

ومادت تقول فى صوت باك يائس :

- ان ويلسون فقط .. ويلسون فقط . هو الذى كان لطيفا
معى !
- انه شاب لاغبار عليه .

- ومع ذلك كانوا ساخطين لذهابه الى النادى الليلة ، ويعتبرونه
متطفلا عليهم .. ولا شك انهم سيضحكون منى ومنه بعد ان
تغادرنا النادى معا ؟ ارجوك يا فيكي .. يجب ان تغادر هذه المدينة
.. يجب .. ولو الى اى مكان حيث نبدأ حياتنا من جديد .
وقال سكوبى وهو لا يزال جالسا على حافة الفراش يمد البصر
الى البحر الساجى ، عبر النافذة المفتوحة :

- طبعا طبعا يا حبيبتي .. ولكن الى اين ؟
- أستطيع ان اذهب الى جنوب افريقيا وانتظر حتى تستقيل
ومن هناك يمكننا ان نذهب الى اى مكان آخر .

وجفل سكوبى فى اعماق نفسه . كان يعرف ان تحقيق هذا
الامل فى حكم المستحيل . ان معاشه لن يكفى لكى يحيا فى اى
مكان حياة طيبة ، وان الامل الوحيد لتوفير اسباب الحياة الرغد
للويز هو موته وحصولها على مبلغ التأمين الضخم الذى لا يدفع
الا فى حالة موته موتا طبيعيا فقط، اما فيما عدا هذا، فانه لن يستطيع
ان يوفر لها حياة ارغد ولا اكثر استقرارا مما هى فيها الآن .

ومادت هى تقول :

- فيكى .. اتنى لم أعد اطيع البقاء هنا .
- اتنى سأفتدك اذا ذهبت وتركتنى بمفردى .
- لا يا فيكى .. اتنى اعرف انك لن تفتدنى .

« حسننا بالوزير ، لسوف احقق لك هذا الأمل بوسيلة . ما »
« وانا كما تعلمين على استعداد للتضحية بأى شيء من اجلك .
فضفطت على يده وقالت :

« - اتعنى ماتقول يا تيكي ، ام انك تحاول فقط ان تهدىء
اعصابى ؟ »

« - اؤكد لك يا حبيبتى اننى سأبذل كل جهدى لتحقيق املك »
« ولشد ما كانت دهشته حين رآها تستغرق فى النوم فوراً
وقد ظلت ممسكة بأصبعه كأنها طفلة تخاف من شيء . واحس
هو ان العبء يرقد بجانبه الآن ، وأن عليه ان يعد نفسه لحمله غداً »

بعد ان فرغ سكوبى واعوانه من تفتيش البأخرة اسبرانكا »
على غير جدوى كالمعتاد ، قال لنفسه : يجب الآن ان أعود الى
البيت . . . لسوف أضع السيارة فى الجراج ، وسيتقدمنى على
بالمشعل لينير لى الطريق الى مدخل البيت ، وسأجد لوزير جالسة
فى غرفة الجلوس بين النافذة والباب حتى تخفف من قسوة الحر
بالتيار الهوائى ، وسوف أقرأ على وجهها كل ما كان يدور فى ذهنها
ظيلة النهار ، ولا شك انها كانت تأمل فى ان اكون قد اعددت لها
كل شيء للسفر الى جنوب افريقيا ، وانى سأقول لها « لقد سجلت
اصمك فى وكالة السفر الى جنوب افريقيا » ولكنها ستخشى الا
يكون شيء من هذا قد تم فعلاً ولهذا سوف تنتظر حتى ابدا انا
الحديث ، وسأحاول ان أتحدث عن أى شيء تحت الشمس لأرجىء
شعورها بالتعاسة اطول فترة ممكنة . وعلى الجملة سوف يتكرر
الموقف الذى أسمى جزءاً من حياتهما اليومية .

وراح يحفظ فى ذاكرته كل كلمة سيقولها وهو يضع السيارة
فى الجراج . واذا كان بعض المحكوم عليهم بالإعدام فى حاجة
شديدة الى الشجاعة وهم فى الطريق الى ساحة التنفيذ ، فقد
كان هو أيضاً فى حاجة الى هذه الشجاعة لاحتفال تعاسة انسان
آخر ، هو مسئول عن توفير السعادة له .

« ونسى كل شيء .. نسي عمله اليومى ، ونسى زملاءه ؟ ونسى
أفشله فى الحصول على قرض بضمان مرتبه او بضمان (بوليصة)
التأمين ، ولم يعد يذكر الا الموقف الذى ينتظره بعد لحظات ..
لسوف ادخل واقول لها « طابت ليلتك يا حبيبتي » وسوف تقول
هى لى « طابت ليلتك يا حبيبى ، كيف حال العمل اليوم » وسوف
اتحدث واتحدث وانا اعلم اننى اقترب فى كل لحظة من العبارة
التي لا مفر منها « وكيف حالك أنت يا عزيزتى » وهنا ينفتح الباب
لتدخل التعاسة منه .

وقال لها وهو يستدير بسرعة ويصب بعض الشراب فى كأسين :
- وكيف حالك أنت يا عزيزتى ؟ مارايك فى كأس شراب ؟
وقالت لويز :

- انك لاتريد حقا أن تعرف كيف كان حالى اليوم .
- لالا يا حبيبتي .. اننى مهتم جدا .. كيف قضيت اليوم ؟
- تيكى ؟ لماذا تلجأ الى المراوغة ؟ لماذا لاتقول بصراحة انك
أفشلت فى حجز مكان لى للسفر الى فى اقرب فرصة !
وابتسم فى تعاسة وهو يدير الكأس فى يده ، واخيرا قال :
- اننى لم افقد الامل بعد . وعليك ان تثقى فى عزيزك تيكى .
ان هذه المسألة تحتاج لوقت طويل كما تعلمين .
- هل ذهبت الى البنك ؟
- نعم .
- ولم تستطع ان تحصل على قرض ؟
- لا .. لاننى لم اسدد بعد القرض السابق كله . مارايك فى
كأس آخر ؟

وامسكت بالكأس ، ونظرت اليه طويلا وقد بدت لسكوبى انها
أكبرت عشرة اعوام فى يوم واحد . وكانت تبدو له هكذا دائما
كلما أسرفت فى البكاء . وازداد احساسه بالمطفئ عليها ، فقال لها :
- تاكدى يا عزيزتى انى سأجد حلا لهذه المشكلة .. اشيرى
كأسك ..

- تيكي .. اننى لم اعد اطيع الحياة فى هذا المكان . لقد قلت
هنا كثيرا .. كل يوم تقريبا . ولكننى اعنى ما اقول اليوم ..
لسوف اجن يا تيكي .. اننى اشعر بالوحدة .. ليس لى صديق
واحد هنا .

- دعينا نستقبل ويلسون غدا .
- اوه ... ارجوك يا تيكي .. لاتذكر ويلسون دائما .. انه
حيفدو واحدا منهم بعد ان تمتد اقامته اسبوعين او ثلاثة . ارجوك
.. ارجوك ان تفعل شيئا .

- سوف افعل شيئا يا حبيبتي .
- اخبرنى بما ستفعله .
ولما شرد بنظراته برهة ، قالت بهدوء :
- انك لاتحبنى يا تيكي .

وأدرك عندئذ انه وصل معها الى قلب العاصفة حيث الهدوء
النسبى الوقت . وما عليه الا ان يصبر قليلا حتى يخرج من
العاصفة كلها بسلام . وما عليه الا ان يكذب .. لان الكذب
هو الوسيلة الوحيدة للخروج من العاصفة بعد ان دخلها معا
بالصدق . وهو يعرف فى قرارة نفسه ان الصدق لا يهزم احدا
الا العلماء والفلاسفة الذين يبحثون عنه فى ثوب الحقيقة . اما
فى العلاقات البشرية فان التعاطف والمجاملات « كلها كذب » فانها
تساوى الف صدق بسبب التعاسة للغير . ومن ثم قال :

- لا لا يا حبيبتي .. اذا لم اكن احبك ، فمن احب اذن ؟

- انك لاتحب احدا ياتيكي .
- الهذا اسىء معاملتك دائما ؟ !
وكان يحاول بالمعبرة الاخيرة ان يحول الحديث الى مجرى
مزح ، ولكنها ابت ان تتجاوب معه وقالت :

- انك تحسن معاملتى بدافع من شعورك العميق بالواجب
والمسئولية فقط .. انك لم تحب احدا قط منذ ان ماتت ابنتنا
الوحيدة كاترين .

- الانفسى طبيعا .. انك تقولين دائما اننى احب نفسى .
- لا .. لا اعتقد انك تحب حتى نفسك .

وحاول ان يدافع عن نفسه ، وهو فى قلب العاصفة ، بالمراوغة
فى الحديث ، ومن ثم قال :

- اننى احاول دائما ان اوفر لك السعادة ، وهذا مايدفعنى
الى التفانى فى العمل ليل نهار .

- تيكى .. انك لم تقل بعد انك تحبى .. قلها يا تيكى ..
واستمر فى قولها .

ورمقها من فوق حافة كأس الشراب . وتذكر حبه لها يوم
تزوجها اى منذ خمسة عشر عاما .. وحاول ان يعرف متى وكيف
توقف هذا الحب ؟ ولماذا ؟ هل الحب حقا مجرد وهم لا يلبث ان
يفيق الانسان منه ؟ الا يوجد شىء فى هذه الدنيا يضمن بقاء الحب
الى الأبد ! ومحاولاته لتوفير السعادة لها ، ليست نوعا من الحب
ام هى ناعمة فقط : كما قالت ، من شعوره بالواجب ؟
وسمعها وهى تقول :

- تيكى .. ليس لى فى الحياة شىء الا انت .. بينما تستمتع
انت بكل شىء .
وهنا قال بسرعة :

- ومع ذلك فانك تريدن ان تتركينى !

- اجل .. لان وجودى معك لا يوفر لك السعادة ، ولان
وحيلى عنك سيحقق لك على الأقل الشعور بالسكينة والسلام .

واغمض عينيه حتى لاتقرا فيهما افكاره . وكان دائما يعجب
لقوة ملاحظاتها ودقة استنتاجاتها .. انه حقا يتمتع بكل شىء ؟
ولا ينقصه فقط الا الشعور بالسكينة والسلام ، ، وكان دائما
يقول لنفسه انه لو عاد شابا ، لعاش هذه الحياة نفسها بشرط
ان تتوافر فيها عناصر السكينة والسلام . ولكن هذه العناصر
لا يمكن ان تتوافر مع تحمله اعباء شخص آخر . اى ان السكينة
النفسية لاند لها ، فى رايه ، من ان يعيش الانسان بلا زوجة لاتكف

عن التذمر ، ولا يكف هو عن الشعور الدائم بمسئوليته لتوحيدها
اسباب السعادة لها . .

ترى . . هل يمكن أن توجد مثل هذه الزوجة ؟
وعادت هي تقول :

– نعم يا تيكى . . هذا هو رايى . . اذا انا رحلت عنك ، فسوف
تتعم انت بحياة كلها السكينة والسلام .

ولم يستطع ان يتمالك نفسه عن القول بصوت حاد
– كفى يانويز ؟ ماذا تعرفين انت عن الحياة فى سكينة
وسلام ؟

« الفصل الثالث »

« النبوءة !! »

تقادر ولسون غرفته فى الفندق بعد ان ارتدى خير ما لديه من
ملايس . وكان يصفر نفما ينم عن شعوره بالسعادة ، لانه كان فى
طريقه الى نزهة خلوية مع لويز . وكان قد التقى بها فى اليوم
السابق ، واتفق معها على القيام بهذه النزهة فى التلال المحيطة
بالمدينة ، حيث ينعمان معا بالمناظر الطبيعية وتبادل قراءة الشعر
. . ولاشك ان آيات الشعر التى سيتبادلانها ستدور حول الحب
من اول نظرة .

والتقى به زميله فى الفندق ، المستر هاريس ، فقال له وهو
يتأمله :

– اخشى ان تعود الليلة وملايسك هذه الانيقة قد فسدت تماما
بسبب المطر .
– المطر ؟!

– نعم . . ان الجو يندّر بالمطر الليلة . وقد حل موسم الامطار
اخيرا .

– اتعنى ان من الافضل لى ان آخذ معى معطف المطر .
– نعم .

وفي تلك اللحظة ، تقدم منهما قارئ الكف الهندي ، وانحنى
لتحييتهما باحترام . وعندئذ قال هاريس :

— لا مفر من أن تسلم كفك لصاحبنا هذا ، ان عاجلا او آجلا
19701 ان هذا هو مصير كل نزيل في الفندق ، ولن تشعر أبدا بالراحة
من مطاردته لك الا اذا تركته يقرأ لك الكف .

وكان ويلسون قد عاد الى غرفته ليأخذ معطف المطر ، وتبعه
هاريس وهو يحدثه عن الهندي . وقد أجاب ويلسون قائلا :

— أعتقد أننا سنجده قد انصرف حين نقادر الغرفة بعد قليل .

— بل اراهن انك ستجده مرابطا لك امام الحمام المشترك ،
ولكن .. الى أين انت ذاهب الليلة .. يبدو لي أن كل نزيل في
الفندق ذاهب الليلة الى مكان ما .

فراح ويلسون يتأمل وجهه في المرآة وهو يقول :

— سأخرج في نزهة خلوية معها ..

— مع من ؟

— لويز .

— اوه !!

وقال ويلسون كأنما يتحدث الى نفسه :

— اننى لا ادري كيف امكنه ان يتزوجها !

— من ؟!

— لويز ..

— هذا ما يحيرنا جميعا . ومع ذلك فان سكوبي ليس بالرجل

الذى تنفر منه النساء !

— ولكنها مذهشة .. رائعة !

فضحك هاريس وقال :

— هذه مسألة مزاج .. وما عليك الا أن تحاول الظفر بقلبهما ،

وسوف ترى ما سيحدث .

— يجب أن أسرع الآن .

ولكن الهندي كان في انتظاره امام الحمام المشترك في ردهة

الفندق ، وقال ويلسون بصوت مسموع وهو يعلم انه كاذب في قوله :

– اننى لا اومن بقراءة الغيب .

– ولا انا . ولكنه بارع حقا . لقد استطاع ان يظفر بى في الاسبوع الاول من اقامتى هنا . وقد قال لى اننى سأتبقى هنا عامين ونصف عام ، وسخرت منه لان مدة عملى كانت لا تزيد عن عام واحد . اما الآن ، فقد علمت ، بعد مضى عام ونصف، أنه الاصدق . وقال المنجم الهندى الذى كان يراقبهما من باب الحمام :

– ان لى خطاب شكر من مدير الزراعة ، وخطاب آخر من الحكمدار ...

وقاطعه ويلسون قائلا :

– حسنا ... افعل ما تريد ، وأسرع .

وقال هاريس :

– يحسن ان انصرف انا قبل ان يكشف اسرارك امامى .

– اننى لست خائفا .

وقال الهندى باحترام :

– هل تسمح يا مستر ويلسون بالجلوس على حافة النانو في

الحمام .

ولما اطاعه ويلسون ، أمسك الهندى براحة يده وراح يسامها ثم

قال :

– ان خطوط كفك تدل على اشياء كثيرة .

– ما هو اجرك بهذه المناسبة .

– حسب المركز يا سيدى . والذي فى مثل مركزك يجب ان

يدفع عشرة شلنات .

– اليس هذا اجرا كبيرا ؟

– ان صفار الضباط يدفعون خمسة شلنات .

فابتسم ويلسون وقال :

– اذن فانا فى فئة الشلنات الخمسة .

– اوه ، لا ياسيدى . . لقد دفع لى مدير الزراعة جنيها كاملا .

- وأنا لست إلا كاتب حسابات .
- هذا ما تقوله انت ياسيدى . اما الميجور سكوبى فقد دفع
لى عشر شلنات .

- حسنا . . اليك الشلنات العشرة . هلم اقرا .
وعاد الهندى يتأمل راحة ويلسون ، ثم قال :

- انك هنا منذ اسبوعين . وانت فى بعض الليالى تشعرون
بالضيق وتوتر الاعصاب . وتعتقد فى قرارة نفسك انك لم تتقدم
فى مهمتك كثيرا . .
وهنا قاطعه هاريس قائلا :

- مع من ؟!

ولكن الهندى استمر يقول :

- انك شديد الطموح ، خيالى النزعة الى حد كبير ، تقرا
الشعر كثيرا .

وضحك هاريس . ورفع ويلسون عينيه الى الهندى فى خوف
وتوجس ، ولكن هذا استمر يقول وهو يتابع بأصبعه خطوط كف
ويلسون :

- انك رجل غامض ، ولا تحدث اصديقاءك عن هوايتك لقراءة
الشعر ، الا صديقا واحدا . . من الجنس اللطيف . انك شديد
الخبيل ، ولكن عليك أن تكون أكثر شجاعة . فان امامك فرصة
ضخمة للنجاح .

وقال هاريس :

- ألم اقل لك هذا يا ويلسون ؟!

ولكن ويلسون كان يعلم ان الأمر كله لا يتعدى لونا من الأبحاء
إذا آمن به المرء ، امكن أن يتحقق يوما . وأخيرا قال للمنجم
الهندى :

- انك لم تخبرنى بما يساوى عشرة شلنات ، اننى أريد أن
تذكر لى شيئا محددًا سوف يحدث لى .

وأخذ الهندى يزيد فى انحنائه على كف ويلسون ، ويمعن النظر
فى خطوطه ، ثم قال :

– لسوف تحوز نجاها ضخما ، وستنال تقدير السلطات في انجلترا .

– ولماذا سأنال تقدير هذه السلطات ؟

– لانك ستظفر بالرجل الذي تطارده .

وقال هاريس ضاحكا :

– عجبا ؟ انه يظن أنك من رجال الشرطة .

وعاد الهندي يقول :

– وسوف تنجح في حياتك الخاصة ايضا . ستظفر بالسيدة التي أسرت قلبك . واخيرا سوف تبحر عائدا الى وطنك بعد ان تحقق جميع آمالك .

وعاد هاريس يقول ضاحكا :

– الآن ارى ان هذه النبوءة تستحق عشرة شلنات حقا .

ونهض ويلسون من حافة البانيو وقال :

– طابت ليلتك أيها المنجم ، اننى لا أستطيع ان اكتب لك بطاقة تزكية بناء على هذه المعلومات . . الا اذا صدقت في النهاية طبعاً .

ما كاد ويلسون يغادر الفندق حتى التقى بجندى مراسلة موفد من مكتب الحكمدار . وقال له الجندى ان الحكمدار يريد ان يراك لمدة نصف ساعة ، ونظر ويلسون فى ساعة يده ، ورأى ان من الممكن ان يفرغ من هذه المهمة ويحافظ على مواعده مع لويى فى نفس الوقت .

وفيما هو يغادر مكتب الحكمدار ، كاد ان يصطدم بالميجور سكوبى وهو فى طريقه الى نفس المكتب ، فقال له سكوبى :

– هالو ويلسون . . ماذا تفعل هنا ؟

– كنت فى مقابلة مع الحكمدار بشأن جواز المرور . يبدو ان الانسان هنا يحتاج الى جواز المرور كـلمـا اراد ان يمضى الى البناء .

– ومتى ستزورنا مرة اخرى يا ويلسون ؟

- اننى سأذهب الليلة فى نزهة خلوية مع مسز سكوبى اذا لم
يكن لديك مانع ..

فاشرق وجهه سكوبى ابتهاجا وقال :

- لا . لا . مطلقا .. ان كل ما يسعد لويز يسعدنى .. وان
البيت مفتوح لك فى كل وقت .

فنظر ويلسون اليه فى ريبة وقال :

- ولكننى اخشى ان اضيع وقتكما بزياراتى ..

- لا . لا . مطلقا .. ان الوقت فى هذا المكان لا ينتهى ..
وانا شخصا لا اعرف كيف اقضيه .. فانى لا احب القراءة ، وهى
احسن وسيلة لقضاء الوقت كما يقولون . ولكن طبائع الناس تختلف
كما تعلم .

وفجأة قال له :

- اننى لاعجب عن السبب الذى جعلك تاتى الى هذه البلاد
يا ويلسون !

فتململ ويلسون فى وقفته وقال :

- ان على الانسان الذى ليس له هدف محدد ان يمضى مع
تيارات الحياة .

- اوه .. اننى على العكس .. احب ان افكر وادبر ، بل انى
افكر وادبر امور غيرى . وعليك انت فى هذه المرحلة من العمر ان
تضع لحياتك هدفا محددًا .. طابت ليلتك .
ولما دخل سكوبى على الحكمدار ، قال له بعد ان تبادل معه
التحية :

- لقد التقيت بالمستر ويلسون خارجا من مكتبك ، انا فى طريقى
اليك .

- آه .. ويلسون .. نعم . لقد جاء لزيارتى بشأن خلاف وقع
بين مدير الشركة واحد رجالنا .

- ولكنه قال لى انه جاء بشأن جواز مرور !!

- آه .. نعم .. حقا .. لقد تحدث معى بشأن جواز للمروور
ايضا يا سكوبى ،

عندما عبر ويلسون ولويز النهر مرة أخرى في طريق العودة ،
ووصلا الى أول شارع بيرنسايد ، شاهد سيارة الشرطة الخاصة
بالرحلات واقفة أمام البيت ومصايحها الامامية والخلفية مضاءة،
وبعض الاشخاص يروحون ويجيئون حاملين اشياء مختلفسة من
البيت الى السيارة .

وقالت لويز وهي تبدأ في الجرى نحو البيت :
- ماذا حدث الآن ؟!

وأسرع ويلسون لاهث الأنفاس وراءها. ولما وصلا الى السيارة
استقبلهما التابع على وقال في سعادة :
- ان السيد سيقوم برحلة عاجلة .

وفي غرفة الجلوس ، كان سكوبي جالسا والكأس في يده ، فلما
رأى لويز وويلسون داخلين ، قال لزوجته :
- اننى سعيد بعودتك الآن . لقد كدت ان اترك لك رسالة ،

ورأى ويلسون أنه كان يستعد فعلا لكتابة رسالة ، اذ كانت
امامه على المنضدة الورقة والقلم . وقالت لويز :
- لماذا .. ماذا حدث يا هنرى ؟!

- لقد صدرت الأوامر الى للذهاب الى مامبا .
- اما كان يمكن ان تنتظر القطار يوم الخميس !
- لا .

- هل استطيع الذهاب معك ؟
- ليس في هذه المرة يا عزيزتى .. اننى آسف . لسوف
اصحب (على) واترك لك الخادم الصغير .
- ماذا حدث !

- وقع حادث للمعاون الشاب بمبرتون ،
- حادث خطير !!

- جدا .. وما كان ينبغي ان يترك المسكين بمفرده في مناطق
الكهده ..

واستدار نحو ويلسون وأردف قائلا
- معذرة يا ويلسون .. تعال واشرب كأسا معى .. ان في
الثلاجة زجاجة صودا اذا شئت ..

وعادت لويز تقول!

- وكم يوما ستغيب يا حبيبي ؟
- يومين على الاكثر . . ما رايك لو ذهبت للاقامة مع المسز هاليفاكس حتى اعود ؟

- لا . . اننى افضل البقاء هنا .
- كنت اريد ان اترك (على) واخذ الخادم الصغير ، ولكن هذا لا يعرف كيف يطهو الطعام .

- لا يا حبيبي . انك ستعود اسعد حالا مع على ، ولاشك انك ستستعيد معه ذكريات حياتكما قبل ان آتى انا الى هنا .
وقال ويلسون :

- اعتقد انه قد آن لى ان انصرف يا مستر سكوبى ، وأخشى ان اكون قد تسببت فى تأخير المسز سكوبى فى الخارج طويلا الليلة .

- اوه . . . اننى لم اشعر بالقلق عليكما ، لان الأب (وانك) جاء وأخبرنى انكما احتميتما من المطر المفاجيء فى غرفة ناظر المحطسة القديمة . وكان ينبغى ان يفعل هو هذا ابضا بدلا من ان يبسل ملابسك بالمطر وهو فى هذه السن الكبيرة .
- هل تسمح لى بالانصراف الآن يا سيدى ؟

- لا . لا . لا . لماذا لا تبقى وتقضى السهرة مع لويز . . لاشك انها ستشعر بالوحشة بعد رحيلى . . وسوف امضى بعد ان اشرب هذه الكأس .
وقالت لويز :

- لماذا لم يرسلوا شخصا آخر اصغر سنا يا تيكى . ان مثل هذه الرحلة ستكون شاقة عليك وانت فى هذه السن . لماذا لم يرسلوا الضابط تريزر ؟

- لقد طلب منى الحكمدار ان اذهب بنفسى ، لان المعاون الشاب بمبرتون انتحر ، والتحقيق يحتاج الى لباقة وحذر وقدرة على الاحتمال .

وهتفت لويز قائلة :

- يا للمسكين ؟ لاشك انه لم يحتمل البقاء في تلك المنطقة
الموحشة !

- لا .. بل يقال انه خسر مبالغ كبيرة في لعب الميسر واضطر
لان يستدين من وكيل التاجر يوسف مبلغا عجز عن سداده في الموعد
المحدد .. ولكن هذا كله سوف ينكشف عند التحقيق .
وقال ويلسون :

- كنت أتمنى أن أقدم أية مساعدة ياسيدى .
- ان المساعدة التي تقدمها لى هي ان تبقى مع لويز وتحدث
معها عن الكتب .

ولم ويلسون لويز وهي تزم شفيتها عندما ذكر زوجها «الكتب»
كما سبق أن لمح سكوبى وهو يضغط على اسنانه حين سمعها تقول
له « تيكى » . ولم يسهه الا ان يعجب لهذه العلاقة البشرية التي تقوم
على الايلام ، وتقبل الالم ، دون كلمة احتجاج !
ونفض سكوبى قائلا :

- الى اللقاء يا حبيبتي !

- الى اللقاء يا تيكى .

- اكرمى ويلسون وقدمى له كل ما يريد من شراب .
ولما رأى ويلسون لويز تقبل زوجها ، لعق شفتيه واحس بطعم
قبلتها او على الأصح ، بطعم احمر الشفاه ، لا يزال باقيا على شفتيه
بعد القبلات الحارة العديدة التي تبادلها مع لويز في غرفة ناظر
المحطة القديمة المهجورة . ولكنه لم يشعر بالفيرة وهو يراها تقبل
زوجها ، وانما احس فقط بالضيق ، «ضيق الرجل الذي يريد ان
يكتب رسالة هامة بقلم فاسد السن !»
وقال لها وهو واقف بجانبها يشيع بنظراته السيارة المتعددة :

- كان ينبغي أن يرسلوا رجلا اصغر سنا .

- انه الشخص الوحيد الذي يثق فيه الحكمدار ..

ثم أردفت قائلة وهي تعود مع ويلسون الى غرفة الجلوس !

- انه الشخص الثانى المثالى .. الشخص الذى يقوم بكل
الأعمال بينما ينال الرئيس المباشر كل التقدير .

وقال ويلسون!

— ألا يحسن أن أنصرف الآن؟! لعلك تريدان أن تغيرى ملابسك
— نعم ، نعم . . يحسن أن تنصرف قبل أن يعرف كل من فى
المدينة أنك بقيت معى على انفراد خمس دقائق بعد رحيل زوجى .
ثم ارسلت ضحكة قصيرة وقالت مردفة :
— لا سيما وليس فى البيت كله غير سرير واحد!
— ألا تريدان أن أقوم بأية خدمة قبل أن أنصرف .

— نعم . . نعم . . يمكنك ان تصعد الى غرفة النوم وتناكمن
أنها خالية تماما من الفيران . اننى لا أريد الخادم الصغير ان يعلم
اننى أخاف من الفيران . . كما أرجو أن تغلق النافذة ، لان الفيران
تتسلل منها .

فرغ سكوبى من اجراءات التحقيق التى اجراها فى بلدة مامبا،
وأشرف على مواراة جثة المعاون الشاب بمبرتون القبر قبل ان
تتعفن فى ذلك الجو الحار ، ثم أرسل يستدعى التاجر يوسف حين
علم من وكيله أنه موجود فى البلدة .
وفى الساعة الخامسة بعد الظهر ، أقبل عليه يوسف بوجهه
المكتنز الباسم دائما ، وشعره الأبيض الفزير ، وجسمه الرياضى ،
وقال لسكوبى بعد أن حياه وتأمله مليا :

— اننى آسف اذ اراك حزينا على هذا النحو يا ميچورسكوبى .
— وأنا آسف اذ اراك على الاطلاق .
— أوه . . انك دائما تسخر منى .
— اجلس يا يوسف واخبرنى عن علاقتك بمبرتون المسكين .
وتراخى يوسف فى مقعد خيزرأنى وثير وقال :
— لم تكن لى علاقة مباشرة به . .

— هل المصادفة وحدها هى التى جعلتك مقيما هنا فى نفس
الوقت الذى انتحر فيه المسكين بمبرتون!
— بل هى فى رأى العناية الالهية .
— أعتقد أنه مدين لك بمبلغ كبير من المال ؟

• انه مدين لو كليل اعمالى هنا •

• ولا شك انك كنت بهذا الدين قد جعلته فى قبضتك ؟
• انك تظلمنى يا ميچور سكوبى . وعلى كل حال ، لقد مات
وانتهى امره . واذا كان معاون الشرطة يريد ان يشتري حاجياته
من متجرى ، فكيف يستطيع وكيلى ان يمنعه ؟ واذا منعه ، فماذا
يحدث ؟ لابد ان يقع الصدام بينهما عاجلا او آجلا . وعندئذ سيعلم
الحكمدار بالامر ، وسيعيد المعاون الى بلاده مجلا بالعار . واذا
استمر المعاون فى شراء حاجياته ، فان الديون تتراكم عليه ، وان
وكيلى لا يجد مفرًا من مطالبته بهذه الديون خوفا منى . واذا كان
المعاون لا يكف عن شرب الخمر ولعب الميسر فانه يعجز عن الدفع ،
وتكون الفضيحة . فما ذنبنا نحن معشر التجار !

وقال سكوبى وهو يشعر بألم مفاجىء فى معدته :

• ان ما تقوله لا يخلو من المنطق .. آه .. ناولنى هذه
الزجاجة ، فانى فى حاجة الى مزيد من الشراب .
• انصحك يا ميچور سكوبى بتناول المزيد من اقراص
الكينين ، فان هذه المنطقة موبوءة بالملاريا .

• اننى لن أمكث هنا طويلا ، فلدى اعمال كثيرة يجب ان افرغ
منها . ولكننى أشعر بالأم فى معدتى وعنقى .
• دعنى أسوى لك الوسادة بعض الشئ .
• انك لست شريرا كبيرا يا يوسف !
فقال يوسف وهو يسوى الوسادة لسكوبى :

• لقد بحث رجالك عن كمبيالات الدين ولم يعثروا عليها •
والواقع انها كلها معى هنا .. فى جيبى .. فقد أخذتها من خزانة
المتجر أمس .
• وماذا تنوى ان تفعل بها يا يوسف ؟

فتناول يوسف الكمبيالات من جيبه ، ثم اشعل النار فيهما
بقداحته وقال :
• كما ترى .. لقد دفع المسكين ثمنها غالبا ، ولاداعى لازعاج
والده بأمور تافهة كهذه .. وحسبه ما هو فيه الآن •

– وماذا دعاك للحضور الى هذه البلدة ؟
– جئت لاسوى الامور بعد ان شعر وكيلى ان المسكين
بمبرتون قد تجاوز حدوده في . . في الاقتراض من المتجر .
فتامله سكوبى برهة وقال :

– يبدو ان بشرك عميقة القرار لا يستطيع الظمان أن يصل الى
مانها يا يوسف !

– ان اعدائى لا يصلون ، ولكن اصدقائى يصلون بسهولة ،
وانا اتمنى ان اكون صديقا لك يا ميجور سكوبى .
– ولماذا تلتمس صداقتى يا يوسف ؟

– لانك من الذين يفهمون الصداقة على حقيقتها . . يفهمون
انها ليست شيئا مقابل شيء آخر . . اتذكر يوم وضعتنى في السجن
منذ عشرة اعوام ؟
– نعم .

– كدت يومذاك ان تضبطنى مثلبسا بجريمة تهريب الماس .
وكان في مقدورك ان تثبت التهمة على لو أنك طلبت من رجالك ان
يشهدوا ضدى زورا ، كما هى العادة في مثل هذه الظروف ، ولكنك
لم تفعل هذا . لانك أردت ان تثبت التهمة بالادلة القوية . . الادلة
المادية . ولهذا ابيت ان تعتمد على مجرد الاقوال والشائعات ،
فظفرت بالبراءة . . ومنذ ذلك الحين وأنا ارى أنك رجل مثالى
لاتحب ان ترى احدا يعانى من الظلم .
وقال سكوبى في اعياء :

– اتمنى لو انك تكف عن الثرثرة يا يوسف ، واحب ان اخبرك
اننى غير مهتم بصداقتك .

– ان كلماتك يا ميجور سكوبى اقسى من قلبك الرقيق . اريد
ان اشرح لك لماذا اوغب في صداقتك . انك اول انسان مسئول
يجعلنى اشعر بالامن في حياتى . انك لن تلجأ الى الخداع لتوقع
بى . انك تريد الحقيقة . . وانا واثق ان الحقيقة ستكون في جانبي
وقال سكوبى مغفرا مجرى الحديث :

— لسوف أعرف يوما مدى علاقتك بالسكين بمبرتون . قال
هذه البلدة تسيطر على الطرق المؤدية من داخلية المنطقة الى الميناء
فقاطعه يوسف قائلا :

— انها تسيطر فقط على طرق مهربي الماشية ، وأنا لا اهتم
بهذا النوع من المهربات .

— ولكن يمكن تهريب اشياء اخرى منها ! اليس كذلك ؟
فابتسم يوسف وقال :

— انك لا تزال تحلم بالماس المهرب يا ميچور سكوبى . يبدو
أن الناس جميعا قد جنوا بأمر هذا الماس منذ نشبت الحرب .
— لا تبالغ فى الثقة بنفسك يا يوسف ، فلعلى اعثر على مايدينك
حين انتهى من فحص أوراق مكتب بمبرتون .

— انك لن تجد شيئا يخصنى ، لانك تعرف اننى احتفظ بكل
أوراقى فى ذهنى !!

واحس سكوبى بثقل فى رأسه ، ويبدو انه أغفى قليلا اثناء
حديث يوسف معه ، وفى غفوته القصيرة رأى لويوز مقبلة نحوه
باسطة ذراعيها وهى تقول « اننى سعيدة . . سعيدة جدا »
وفتح عينيه ليجد يوسف مستمرا فى الحديث قائلا :

— ان اصدقاءك الأوربيين هم فقط الذين لا يثقون فىك ، أما
أنا ، فان ثقتى فىك كبيرة . . بل ان طالوت يثق فىك أيضا .
وبذل سكوبى بعض الجهد ليفيق تماما ثم قال :

— ماذا تعنى يا يوسف ؟

— اولا مسألة منصب الحكمدارية .

— انه منصب يحتاج الى شخص اصغر سنا وافر نشاطا .
ثم قال لنفسه « يبدو اننى اصبت بمبادئ الحمى ، والا لا
تأقشيت يوسف فى امر كهذا »
وعاد يوسف يقول :

— وهناك أيضا مسألة المندوب الخاص الذى اوقد من لندن .
— يحسن أن نستكمل حديثنا فى وقت آخر يا يوسف ، لاننى
لا أكاد أفهم شيئا مما تقول .

– لقد أوفدت لندن مندوبا سريا خاصا للتحري عن عمليات تهريب الماس في هذه المنطقة .. ولا يعرف بأمر هذا المندوب الا الحكمدار .. اما باقى الضباط ، فلا ، حتى أنت ..
– انك تهذى يا يوسف ، فليس هناك مثل هذا الرجل .
– لقد استطاع كل شخص ان يخمن الحقيقة الا انت .. انه ويلسون .

– لا يجب ان تصفى الى الشائعات يا يوسف !
– وهناك مسألة ثالثة . ان طالوت يشيع فى كل مكان أنك تزورنى فى بيتى .

– طالوت ؟ ومن ذا يصدق ما يقوله طالوت ؟
– ان الناس عادة يصدقون أقوال السوء عن غيرهم .
وقال سكوبى باعيا :
– انصرف الآن يا يوسف . لماذا تريد أن تزعجنى بهذه الثرثرة ؟
فقال يوسف بنبرة اخلاص :

– اريد فقط ان تتأكد يا ميجور سكوبى أن فى مقدورك الاعتماد هلى . اننى احمل لك اوفى انواع الصداقة فى اعماق نفسى . وأنا أعرف الأزمة التى تمر بها الآن ، وليس احب الى من ان امس يد المساعدة .

فأدار سكوبى وجهه وقال :

– اننى لا أسمى وراء الرشوة يا يوسف .
– اننى لا اقدم لك رشوة يا ميجور سكوبى ، وانما قرض طويل الأجل ، وبفائدة بسيطة .. لتكن أربعة فى المائة مثلا . ولن تكون هناك شروط اخرى . وبممكنك ان تقبض على فى اليوم التالى اذا بوافرت لديك الأدلة على ادانتى . اننى اريد أن اعرب لك عن صداقتى يا ميجور سكوبى . ما رأيك .

– رابى ان تدعنى وشائى وتنصرف .

فهب يوسف كنفه وقال :

– اننى اكره ان ارى انسانا مثاليا يعامل على هذا النحو

السبى ١٥

— لست بحاجة الى عطفك يا يوسف . ارجوك ان تنصرف ؟
لانى اريد ان انام .

ولما نام ، هاجمته الاحلام المزعجة ، اذ رأى نفسه جالسا الى مكتبه فى غرفة الجلوس بمنزله ، يكتب آخر رسالة له قبل ان يودع الحياة ، ويسمع بكاء لويز فى الغرفة العليا ، ثم يتلفت حوله باحثا عن سلاح ينتحر به . . ولكنه يراجع نفسه ويدرك ان الانتحار هو الشيء الوحيد الذى لا يجرؤ على ارتكابه . انه لا يستطيع ان يرتكب خطيئة لا تفتقر . انه لا يجد فى الحياة شيئا يستحق ان ينتحر الانسان بسببه ، ومن ثم يمزق الرسالة ، ويسرع صاعدا الى لويز وهو يهتف « لويز . . لويز . . لقد حصلت لك على تكاليف السفر الى جنوب افريقيا » ولكن السكون يخيم على كل شيء ، ويشعر بالقلق ، ويفتح باب الغرفة برفق ، ويدخل ليفاجأ بانها خالية تماما . .

ويستيقظ من نومه ، ويتلفت حوله ويشعر فى الغرفة الحجرية الصغيرة التى كان ينام فيها ، كأنه ينام فى قبر .

«الفصل الرابع»

«الأمل . . . والتمن!»

واستمرت غيبة الميجور سكوبى فى مامبا اسبوعا ، امضى منه ثلاثة ايام فى حالة حمى ، وقد ظل تابعه على ساهرا عليه حتى افاق منها ، واصبح قادرا على رحلة العودة .

وفى خلال هذه الفترة ، لم ير يوسف مرة اخرى .

وكان الوقت قد تجاوز منتصف الليل عندما وصل الى المدينة . وكانت البيوت تبدو فى ضوء القمر كأنها اكوام من عظام بيضاء والشوارع الساكنة تمتد على الجانبين كأنها اذرع هيكل عظمى ، والزهور ترسل عطرها ، فى الجو كأنها اكليل ناضر على قبر ميت حديث العهد . وشعر سكوبى انه لو كان عائدا الى بيت خال ، اذن لا يمكنه ان يحس بالرضا والقبطة ، لانه كان يشعر بالتعب والارهاق

والرغبة في النوم بلا سماع المزيد من شكوى لويو . وتمنى لو انه
عاد فرآها مستفرقة في النوم .

وعاد الى البيت . . وطوقته لويو بذراعيها ، وراى المائدة
معدة للعشاء . وابتسم مرغما ، وتحدث عن مهمته في مامبا ، ولم
يشر الى لقائه بيوسف اثناء الحديث ، ولكنه كان يعلم انه سوف
يسألها - ان عاجلا او آجلا - عن احوالها في فترة غيبته . وحاول
أن ياكل . ولكنه من فرط الشعور بالتعب لم يجد للطعام في فمه
مذاقا .

وقال مترددا :

- لقد فرغت من مهمتي ، وقدمت أمس تقريري . . هذه
هى كل اخبارى .

ثم تردد مرة أخرى وقال :

- وأنت . . كيف كانت الأحوال معك ؟

ونظر الى وجهها بسرعة وهو يأمل - كل الأمل - أن يرى عليه
ابتسامة رضى . وتنهى في ارتياح عندما قالت :

- لا بأس .

وأخذت تتحدث عن موضوعات أخرى . ولكنه ادرك من امارات
وجهها أن شيئا ما قد حدث . وانتظر بقلب راجف أن تخبره عن
هذا الشيء . وقالت :

- كان ويلسون رقيقا معى الى أقصى حد .

- انه شاب لطيف . .

- وهو ذكى جدا . . ويبدو لى اشد ذكاء من ان يعمل كاتب

حسابات في شركة تجارية .

- قال لى انه يسير مع تيار الحياة .

- اعتقد اننى لم اتحدث مع أى شخص آخر ، الا مع الخادم

الصغير ، منذ أن رحلت . ورغم ما سمعته عن وصول جماعة من

اللاجئين الذين نجوا من باخرة غارقة الى المستشفى العسكرية ،

فانى لم أجد في نفسى الرغبة لزيارتهم . . آه ، وكذلك تحدثت مع

الأسز هاليفاكسى التى اخبرتنى عن وصول هؤلاء الناجين . .

وأدرك سكوبي أن الخطر الذي كان يخشاه يوشك أن يقع . . .
وقال لنفسه ضارعا الى الله : « آه ياربى . . اننى مرهق . . وقد
تروكتنى الحمى ضعيفا كالحمل الوليد . . ولا بد لى من الذهاب الى
الفراشى ، فقد تجاوزت الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف
الليل ! »

وقالت لويز :

- تيكى . . هل فعلت شيئا من أجل سفرى الى جنوبي
افريقيا ؟

- لا عليك يا عزيزتى . . لسوف اجد وسيلة ما .
- ألم تجد وسيلة بعد ؟
- لا . . ولكننى سوف احقق لك هذا الأمل بأى ثمن . .
اطمنى .

ومدت يدها وربتت على وجنتيه وقالت بعطف :
- يا عزيزى تيكى . . انك متعب . ولن ازيد فى ازعاجك الآن ،
اذهب الى فراشك واسترح .
- وأنت ؟!
- سألحق بك بعد قليل .

ورقد سكوبي فى فراشه ينتظر لويز ويفكر . . وكلسما آمن
التفكير وجد أن الشخص الوحيد الذى يمكن ان يقرضه نفقات
السفر ، هو التاجر اللبناى يوسف . ولكن . . أى ثمن فادح سوف
يدفعه من سمعته ومن مستقبله لو علم أحد أنه - وهو وكيل
الحكمدار - يقترض مالا من تاجر تقول الشائعات أنه من أكبر مهربي
الماس ؟!

لا . . لا . . لا بد له ان يصارحها بالحقيقة . . لا بد له ان
يواجهها قائلا انه لن يستطيع الحصول على المال اللازم لسفرها ،
وأن عليها ان تنتظر ستة شهور أخرى حتى يحين موعد أجازته ،
فيصحبها الى لندن على نفقة الحكومة .

وشعر بالسكون العميق يخيم على البيت . . ترى أين لويز
الآن . . لماذا لم تصعد اليه . . وتذكر الحلم المزعج الذى رآه فى
لومه وهو فى ماميا ! واستبد به خوف رهيب ، فوثب من الفراش ،

وهبط ؟ بحق القدمين ؟ الى قرقرة الجلوس ؟ وهناك رأى لوبن
يجالسة الى منضدة الكتابة ، وامامها الورق ؟ وفي يدها القلم .
ولما احست به قالت :

— ماذا بك يا عزيزي ؟ لماذا تركت فراشك !

— لقد ازعجنى السكون العميق المخيم على البيت ، وخشيت
ان يكون شيء ما قد حدث . لقد رأيت حلما مزعجا عنك في الاسبوع
الماضى . . ويبدو ان انتحاربميرتون قد اشاع الاضطراب في اعصابي
— اوه ، ما اشد بلاهتك يا تيكي . . ان شيئا كهذا لا يمكن ان
يحدث لنا . . اننا كاثوليكيان . .

— نعم . . نعم . . ولكننى اردت فقط ان اطمئن عليك .
ثم وضع يده على شعرها الذهبى ، واختلس النظر الى الورقة
الموضوعة امامها ، وقرا فيها العبارة الاولى من الخطاب « عزيزتى
المسز هاليفاكس . . . »

وقالت هى فى صوت رقيق ؟

— اطمئن يا عزيزي . . لقد ازعجتك كثيرا برغبتى فى السفر .
ولن افعل هذا بعد الآن . ان هذه الرغبة كالحمى . . تاتي وتذهب .
وقد ذهبت الآن .

— ولكن . . معلقة المسز هاليفاكس بالموضوع ؟

— ان المسز هاليفاكس قد حجزت مقصورة لراكبين فى الباخرة
التالية المسافرة الى جنوب افريقيا . وقد مرضت زميلتها فى
المقصورة واجلت السفر . ومن ثم عرضت المسز هاليفاكس ان
احل محل زميلتها المريضة . .

— ولكن الباخرة التالية ستمر علينا بعد خمسة عشر يوما . .
— نعم . . على انى قررت الا اقبل هذا العرض ، لاني واثقة
بانك لن تستطيع الحصول على المال اللازم . .
واسرع يقاطعها قائلا :

— لا لا . . اكتبى وقولى لها انك مستذهين معها . . اتنى
اعرف من اين استطيع ان اقترض المال اللازم . .
— ولماذا لم تخبرنى بذلك ؟
— اردت ان اجعل الامر مفاجاة لك .

ولم تبد على وجهها السعادة التي كان يتوقها . وأما قوجي
بها تقول :

- وهكذا تستريح من ازعاجي لك .. اليس كذلك يا تيكى؟
- أن ما يهمنى هو اسعادك يا عزيزتى .. ألسنت سعيدة
الآن؟!

فقالت فى صوت ينم عن الحيرة:
- نعم .. نعم يا حبيبى .

وصلت الباخرة المنتظرة فى مساء يوم السبت . وأخذ الاثنان
يرقبانها من نافذة غرفة وقد أمسك كل منهما بيد الآخر . وقال
سكوبى أخيرا :

- هذا يعنى أنك ستسافرين عليها غدا بعد الظهر .
وضفطت على يده قائلة .

- ويعنى أيضا أن فى مقدورنا حضور القداس معا فى الصباح .
وفى اليوم التالى ، ذهبا معا فى بكور الصباح الى الكنيسة .
وفىما هما يركمان بجوار سياج المذبح ، قال سكوبى لنفسه مفكرا
« لقد دعوت الله أن يمنحنى سكينه النفس والسلام ، وها قد
تحقق دعائى .. ودعوته أن يحقق امل لويز ، فتحقق الأمل .. .
ولكن .. بأى ثمن رهيب! بأى ثمن رهيب!»

وفىما هما عائدان الى البيت ، قال لويز فى نهفة:

- هل أنت سعيدة يا لويز؟!

- أجل يا تيكى .. وأنت؟!

- أئننى سعيد لسعادتك .

- هل ستكتب لى مرة كل اسبوع؟

- بكل تأكيد يا حبيبتى .

- وصلاة القداس كل صباح احد يا تيكى ؟ هل ستهملها !!

- لا يا حبيبتى .. .

والتقى بهما ويلسون فى الطريق .. وكان وجهه يصح بانعرف
وبالقلق . وقال وهو ينظر فى عناب مرير الى لويز :

— هل حقاً ما سمعت عن مسألة السفر هذه؟!
فقال سكوبي:

— نعم .. ان لويز ستستقل الباخرة بعد ظهر اليوم الى
جنوب افريقيا .

وقال هو موجهاً الحديث الى لويز:

— انك لم تخبريني بانك ستسافرين بهذه السرعة ؟
— نسيت يا مستر ويلسون .

— لم اكن اصدق انك ستسافرين حقاً لولا اني التقيت مصادفة
بالمسز هاليفاكس منذ قليل في مكتب حجز التذاكر .
وابتسمت لويز قائلة:

— حسناً .. لا تنس اننى سأترك لك تيكي ليسهر معك بين
الحين والآخر .

وقال ويلسون وهو يضرب بقدمه تراب الشارع بعنف:

— هذا عجيب ؟ اننى لا اعرف احدا هنا غير كما .. وغير
هاريس .

وقالت لويز:

— عليك ان تبدا في توطيد صداقتك بالغير .. وارجوك المعذرة
الآن ، ان علينا ان نفرغ من أعمال كثيرة قبل الرحيل .

وسار الاثنان « سكوبي وزوجته » في الطريق الى البيت
تاركين ويلسون في وسط الشارع ، ينظر اليهما في عجب وضيقة .
وقال سكوبي لزوجته:

— مسكين ويلسون .. يبدو انه وقع في غرامك .
— هكذا يعتقد .

— من حسن حظه انك سترحلين الآن . فان الشبان امثاله
لا يتورعون عن ارتكاب أى شيء في مثل هذا الجو الحار اذا ظنوا
انهم ضحايا حب فاشل . ولسوف اعامله برفق وعطف اثناء
غيبتك .

— تيكي .. ارجو ان تكون على حذر منه . انه رجل غامض ..
وكذاب ، والا لماذا قال انه لايعرف احدا هنا غيرنا وغير هاريس .
— وهل هو يعرف احدا آخر !?

- أنه يعرف الحكمدان . وقد رأته أكثر من مرة يقادون
مكتبه .

- ربما يعرفه فقط بحكم عمله هنا .

وبعد برهة من الصمت ، قالت لويز وهما يقتربان من البيت :

- تيكى . . لقد طلبت منى المسز هاليفاكس أن أوصيك بفتاة

مسكينة من الناجين من الباخرة الفارقة . .

- فتاة؟! .

وأشارت لويز الى كوخ انيق منفرد بين الاكواخ في منطقة

الاستراحات الحكومية التي كانت تقع على مسافة ميلين من بيت

سكوبى ، وقالت :

- انها تقيم الآن في هذا الكوخ ريشما تستجم وتسترد قواها

وتعود الى انجلترا . . ويقال انها عانت أشد المحنة بعد غرق الباخرة

لقد فقدت زوجها وهما لا يزالان في شهر العسل ، وعاشت على

الماء والخبز نحو عشرين يوما قبل أن تتمكن احدى البواخر من

انقاذها مع زملائها في زورق الانقاذ .

وقال سكوبى بغير اهتمام :

- وماذا تريد المسز هاليفاكس أن أصنع لها!

انك معروف بطيبة القلب واستقامة الاخلاق ، وهى ترجو أن

تضع الفتاة المسكينة تحت رعايتك حتى لا يزعجها بعض الشبان

المراهقين من أمثال بريجستوك . . مسكينة هذه الفتاة اذ تترمل!

وهى فى السابعة عشرة من عمرها! .

وقال سكوبى وهو يهز كتفيه :

- سأحاول أن أجعل اقامتها المؤقتة هنا مريحة بقدر الامكان .

والآن ، لا بد لك يا عزيزتى من أن تتناولى طعام الفداء هنا . . فانا

أخشى أن يكون الطعام فى الباخرة غير ملائم لك بسبب ظروف

الحرب .

وبدأت الباخرة ترسل صغرها ايدانا بقرب ابحارها . . وبعد

أن اطمان سكوبى على راحة زوجته لويز فى المقصورة المشتركة

بينها وبين المسز هاليفاكس قال لها وهو يحس انه يعيش فى حلم

قمامض!

- هل أقول لك الى اللقاء الآن ياعزيزتى ؟!
وسارت معه الى رأس سلم الباخرة وقالت :
- الى اللقاء ياتيكي .. هل ستكتب لى مرة كل .. .
- نعم يا حبيبتي .

- لقد ازعجتك كثيرا يا تيكي .. ولكن الوضع كان سيختلف
جدا لو أنهم اسندوا منصب الحكمدار اليك .
- لا عليك يا حبيبتي .. لسوف الحق بك فى اجازتى ، واذا
احتجت مالا ، ارسلنى الى وأنا سادبر الامر .
- انك دائما تدبر لى الامور يا تيكي .. هل تحبني ؟
- وهل ترتابين فى هذا ؟!

- قلها لى ياتيكي ، ان الزوجة تحب ان تسمع هذه الكلمة من
زوجها حتى وهى تعلم أنه غير صادق ..
- اننى احبك يا لويز .. وأنا صادق بطبيعة الحال .
- اذا لم أحتمل البقاء هناك بمفردى يا تيكي ، فسوف أعود
اليك بسرعة .

وتبادلا القبلات ، وكان الميناء يبدو من الباخرة جميلا ، اذ كانت
صفوف المنازل البيضاء تتألق فى ضوء الشمس كالرخام ، او تبدو
كالعشاق فى ظلال الأشجار الضخمة ترفرف عليهم بالأنفان ،
وقال سكوبى :

- ان هذه الباخرة مع غيرها فى القافلة تتمتع بحراسة قوية من
الدمرات وزوارق الطوربيد .
- أظن ياتيكي .. المهم ان تعنى بنفسك اثناء غيبتى .
ومسحت دموعا انحدرت على وجنتيها ، وقال سكوبى وهو
يربب على يدها :
- الى اللقاء يا حبيبتي ..

لاول مرة منذ سنوات طويلة كان سكوبى يشعر بالسكينة
والسلام وهو جالس فى شرفة فندق بدفورد ، بعد غروب الشمس ،
تحسو كأسه متمهلا ويفكر فى الراحة الكاملة التى سينعم بها حين

يعود الى البيت . . البيت الخالى من لويز ؟ كينام دون ان يشعرو
بعبء مسئولياته نحوها .

وفيما هو جالس على هذا النحو ، اذا بويلسون يقبل اليه ؟
ويقول بلهجة غامضة :

- هل تسمح لى بالجلوس معك برهة يا ميجور سكوبى ؟
قلما أوماً له سكوبى برأسه ، جلس ويلسون وقال بلا مقدمات ؟
- لقد ثبت لى وأنا أجرد احد فروع متاجر الشركة ، ان وكيل
الفرع قد حصل على كميات هائلة من الأطعمة المحفوظة عن طريق
آخر غير طريق الشركة .

- عن أى طريق اذن !!

- انها كلها من الأطعمة المحفوظة الواردة الى مخازن القوات
العسكرية .

- ان الأمر بسيط . . وما عليك الا ان تفصله وتقدمه للمحاكمة

- ان من الخطأ ان نحاكم لصا صغيرا اذا كان فى مقدورنا ان
نصل عن طريقه الى اللص الكبير . ولكن هذه مهمتك طبعاً .

وتوقف ويلسون عن الحديث برهة ، ثم تناول منديلا وراح
يمسح حبات العرق المتفصدة على جبينه واردف قائلاً

- أترى ؟ حصل على هذه السلع من التاجر يوسف ؟

- من التاجر يوسف نفسه ؟

- من احد وكلائه . .

- هذا هو الأرجح ، لان يوسف اذكى من ان يرتكب هكذا
الخطأ . لانه فى هذه الحالة يستطيع ان يلقى بعبء الاتهام على
وكيله . ومن المحتمل جدا ان يكون يوسف بريئاً . هذا مجرد
احتمال ، ولكن لابد من اقامة الدليل المادى على ادانة يوسف .
وقال ويلسون بلهجة لها دلالتها :

- واذا وجد هذا الدليل المادى ، فهل تقبض عليه ؟

ورمقه سكوبى بنظرة حادة وقال :

- ماذا تعنى ؟

وتقصد العرق من جبين ويلسون مرة أخرى ، ولكنه قال
بحماس أدهش سكوبى :

- ان الشائعات تقول ان يوسف يحتفى بك ضد القانون .
- لقد عشت هنا مدة تكفى لتجعلك تعرف قيمة الشائعات !
- انها منتشرة في كل مكان .
- نشرها طالوت ، او ربما يوسف نفسه .

- ارجوك يا ميجور سكوبى الا تسيء فهم مقاصدى . لقلنا
كنت لطيفا معى ، وكذلك المسز سكوبى . ومن ثم رأيت ان اخبرك
بما سمعت .

- اننى اعرف كل ما يقال هنا . . لا تنس اننى اقيم فى هذه
المستعمرة منذ خمسة عشر عاما .

- وهل حقا تتبادل الزيارات مع يوسف كما يقولون ؟
- نعم . . كما اتبادل الزيارة مع الحكمدار نفسه . ولكن هذا
لا ينعنى من القبض على يوسف اذا لزم الامر . . وبهذه المناسبة ،
هل افهم من حديثك انك تستجوبنى يا ويلسون ؟
- لا لا . . اردت فقط ان اخبرك بما اسمع .
- انك اصغر سنا من المهمة التى تقوم بها يا ويلسون .
- اية مهمة تعنى ؟!
- انت تعرف ما اعنى .

ومرة اخرى فاجأ ويلسون سكوبى بقوله فى حدة وحماس !

- اوه . . انك شخص لا تحتمل يا ميجور سكوبى . ان تمسكك
بمبادئ الشرف والاستقامة تجعلك شادا عن بقية الناس . . تجعلك
غير صالح للحياة بينهم .

واشتد احمرار وجه ويلسون من فرط الشعور بالقبض !
والخجل ، والعجز عن ايلام سكوبى الذى قال بهدوء :
- انصحك بعدم التعرض للشمس نهارا ، لان حرارة الجو
هنا قد بدات تفسد اعصابك .

ونفض سكوبى لينصرف ، ولكن ويلسون نهض واعترض طريقه
وهو يقول بانفعال اشد :

- لقد ابعدت لويز عنى لانك خائف عليها منى . . اليس كذلك ؟
وارسل سكوبى ضحكة قصيرة وقال :

— انها حرارة الجو يا ولدى .. قدما ستتحسن حالتك وتنسى
أكل شيء .

— انها لم تعد تحتمل غيابك وتزمتك .. انك آخر انسان يفهم
بحقيقة مشاعر سيدة مثقفة رقيقة شاعرية الخيال مثل لويزا .

— وهل يوجد من يعرف حقيقة مشاعر اى انسان آخر ؟
— اثناء غيابك فى مامبا قبلتها .. قبلتها اكثر من مرة

— لا عليك يا ويلسون .. ان كل زوجة اوربية هنا لا تجلس
باسا فى ان يقبلها كل وافد جديد على المستعمرة .. والازواج
ينظرون الى هذا من زاوية الروح الرياضية .

— وكان سكوبى مخلصا فى حديثه ، اى لم يكن متعمدا أن يزيد من
سورة غضب ويلسون وغيرته . ولكن هذا قال بنفس الانفعال
الشديد :

— انك غير جدير بها
— لا انا .. ولا أنت يا ويلسون .

— من أين جئت بالمال اللازم لسفرها .. أريد أن أعرف هذا .
انك بمرتبك المحدود ، لا تستطيع أن تدخر مثل هذا المبلغ .. اننى
اعرف مرتبك .. لقد قرأته فى سجل مرتبات رجال الشرطة . انك
موضع رقابتي .

ونظر سكوبى اليه بدهشة ، ثم ابتسم وقال :

— يبدو أنك مخبول حقا يا ويلسون .

وهنا تهالك ويلسون على مقعده ، واخفى وجهه بين يديه
وراح يهتز بنوبة بكاء مفاجئة .

ووضع سكوبى يده على كتفه وقال فى عطف :

— انها حرارة الجو يا ولدى .. اصعد الى غرفتك واسترح
. . . ويمكننا غدا أن نستأنف الحديث .. طابت ليلتك .

وراح ويلسون يختلس النظر من وراء أصابعه الى الرجل الذى
شاهد دموعه ، وهو يزداد احساسا بكراهيته .

« الفصل الخامس »

« لقاء مع الحبيب »

انطلقت صفارات الانذار تعلن عن احتمال وقوع اغارة جوية على المستعمرة ، ومن ثم اسرع مكوبي ، رغم المطر الذي بدأ ينهمر بفزارة ، الى جولة تفتيشية ليطمئن على حالة اطفاء الأنوار في المدينة كلها . وراح يخوض الشوارع الموحلة ، محتميا من المطر بمظلته ، لان حرارة الجو - رغم المطر - جعلته لا يفكر في ارتداء معطفه الجلدي . وظل في سيره وهو يرى من بعيد المصاييح الزرقاء لكسيارات النقل وهي تسير في طابور طويل على سفح التل . ولمح ضوءا يلمع في نافذة احد المنازل ، فصاح آمرا باطفائه ، ولم يلبثا الضوء ان اختفى . . لاشك انها مجرد مصادفة ، لانه لا يعقل ان يعتمد احدا ان يدع ضوء بيته ينفذ الى الخارج ويفرغ بعض ظائرات الاغارة على القاء قنابلها فوق المدينة .

ولما وصل الى ما وراء مركز النقل البري ، لمح مرة اخرى ضوءا خافتا يومض برهة في نافذة كوخ بأحد مباني الاستراحة الحكومية التي تبعد عن بيته نحو ميلين . وتذكر الفتاة اللاجئة التي قالت زوجته انها في حاجة الى من يرعاها . . وتذكر ان المسوّ هاليفاكس قد قالت ان اسمها المسوّ رولت . . ومن ثم رأى ان يعضى اليها ويطمئن عليها ويهدىء من مخاوفها في ليلة ممطرة مظلمة كهذه .

وسار في الطريق الساكن الا من صوت المطر على اسقف المنازل وعلى مظلته ، وعلى الشارع حوله ، ولم يكن يدري في تلك اللحظات انه كان مع كل خطوة يتقدم نحو مرحلة جديدة في حياته شاء القدر ان تكون المرحلة الحاسمة .

وطرق على باب الكوخ بقوة حتى يمكن للفتاة ان تسمع الطرق وتقيم صوت الأمطار المنهمرة على سقفه المعدني . وبعد ان كرو الطريق ، فتح الباب فجأة ، ولم يسعه الا ان يقمض عينيه أمام

الضوء المفاجيء الصادر من الغرفة الواحدة الكبيرة التى يتكون منها الكوخ مع المرافق .

وقال للفتاة الواقفة وراء الباب بعد ان دخل :

- اتنى آسف لازعاجك فى مثل هذه الساعة . ولكن وميضامن الضوء ينساب من طرف الستائر المسدلة على النافذة . . .
وسمع صوتا نساءيا رقيقا يقول :
- اتنى آسفة لهذا الاهمال . . .

وكانت عيناه قد اعتادتتا على الضوء المفاجيء، فرأى امامه قِادة فى مبعة الصبا شاحبة الوجه ، حزينة النظرات ، ناحلة الجسم، يحيط شعرها الاسود الفزير حول وجه مستدير اسود العينين ، دقيق السمات ، ترتسم عليهم امارات الحيرة والخوف والترقب . . .
وقال لها وهو يحاول ان يبتسم ليهدىء من روعها :
- المسز رولت !!
- نعم . . من أنت ؟ اتنى لا اعرفك .

- اتنى سكوبى . . هنرى سكوبى . . وكيل الحمدار .
وأشرق الوجه الشاحب الخائف بابتسامة باهتة وقالت :
- اوه . . معذرة . . لقد حدثنى المسز هاليفاكسر عنك . .
بل لقد سمعت الكثير عن طيبة قلبك يا مستر سكوبى . . اعنى
يا ميجور سكوبى . . تفضل بالجلوس .
- هل تسمحين لى اولا باحكام الستائر !

وقيل ان تأذن له ، مضى الى النافذة الوحيدة، واحكم ستائرها، وكان فى خلال هذا قد شاهد كل شىء فى الغرفة ، ولم يكن كثيرا . . .
فيها سرير عادى ، ومنضدة ، وبضعة مقاعد . . . ومشجبي . . .
ومنضدة زينة بمرآة كبيرة ، وخزانة ثياب . . . وكان يعرف ان هذه المساكن مخصصة لسكنى صغار الضباط الذين لا يزيد مرتبهم احداهم عن خمسمائة جنيه فى العام .
وقال لها فى شبه اعتذار :

- أخشى ان تكون اقامتك هنا غير مريحة !

فابتسمت وقالت :

- اتنى احس كانى فى الجنة بعد العشرين يوما التى امضيتها

بين السماء والماء في زورق النجاة .. ان الجميع هنا طيبون ورحماء .. وقد اعطتني المسز هاليفاكس هذه المنامة التي ترانى بها الآن .. وكان طبيعيا الا يرى سكوبى شيئا من الكتب أو الصور أو الملابس أو الحقائق .. لان الفتاة اتقدت من الزورق وهى في ثوب ممزق .. ولكن عينيه وقعتا على اضمامة « اليوم » لطوابع البريد فوق احد المقاعد . ويبدو ان المسز رولت رات نظراته على الاضمامة ، فقالت :

- انها الشيء الوحيد الذى نجامعى من الباخرة ...
وفجأة غامت عينها وقالت بصوت ينم عن الخوف :
- هل نحن هنا معرضون لخطر الاغارات الجوية ؟
- لا لا .. اطمئنى .. اننا لم نتعرض لاغارة حقيقية حتى اليوم . ثم تأملها مرة اخرى وقال :

- ما كان ينبغى ان يخرجوك من المستشفى بهذه السرعة .
- لقد طلبت انا الخروج ، لانى اريد الانفراد بنفسى بعد ان كثر الزائرون لى فى المستشفى ، وبعد ان ضقت بعبارات العطف والرثاء الجوفاء .

وعندئذ قال سكوبى بلباقة :

- حسنا .. لسوف انصرف انا ايضا .. واذا احتجت الى شىء ، فان بيتى يقع فى الناحية الأخرى .. على بعد ميلين .. ولكن يمكنك أن تريه من هنا ، لانه لا يفوم بينه وبين هذه الاستراحات شىء .. انه البيت الأبيض ذو الطابقين والنوافذ الخضراء .

وقالت له :

- ولكن .. الا تنتظر حتى تتوقف الامطار !
- لا اظن .. لانها لن تتوقف الا فى سبتمبر .. اى بعد بضعة شهور .

واستطاع بهذا ان يظفر منها بابتسامة حقيقية ، وقالت :

- ان صوت المطر فظيع .
- لسوف تعتادين عليه بعد ايام قليلة ، كما يعتاد الانسان على اصوات القطارات التى تمر أمام مسكنه . واكبير ظنى انه

هم يصلونك الى انجلترا في اقرب وقت . فان هناك باخرة ستعود
تصل الى انجلترا بعد اسبوعين .
وقالت له :

– هل تحب ان تشرب كأسا . . لقد اعطتني المسز كارتر زجاجة

بين . . .

اقال وهو يراها تخرج الزجاجة من خزانة الملابس !

– ما ساعدك على شربها اذن . . هل خصصوا لك خادما ؟

– نعم . . غلام في الثانية عشرة . ولكنني لا ادري ماذا اطلب
منه ، كما انه لا يأتي الى الا قليلا .

ورمق الزجاجة التي كانت ممتلئة الى النصف فقط ، ثم قال :
– وهل شربت منها هذه الكمية !

– لا . . لم اذقها بعد . . يبدو ان الغلام كان يشرب منها في
قفلة عني .

– سوف اتحدث معه غدا . . لديك ثلاجة ؟

– نعم في المطبخ ، ولكن ليس بها ثلج .

وكانت عندئذ قد جلست على حافة الفراش ، وبدت تقاطيع
جسدها الشاب واضحة تحت المنامة الحربية . وقد اردفت
قائلا :

– ارجو الا تعتقد انني بلهاء . كل ما في الامر انني في حيرة
وارتيباك ، لان هذه اول مرة اترك فيها بلادي .

وقال وهو لا يزال واقفا :

– من اين جئت ؟

– من مقاطعة سافوك . . مدينة سانت ادموند . . كنت هناك
بعثا ثمانية اسابيع فقط .

– حسنا . . لسوف ينتهي كل شيء على خير . . هل تسمحين

لي بالانصراف الان ؟

فنظرت اليه في سمت الطفل الخائف وقالت :

– الا تبقى حتى تنطلق صفارات الامان . . ان اعصابي

لا تزال مضطربة ، هذا اذا لم اكن اعطلك عن اعمالك .

فجلس قائلا :

— لا .. لا مطلقا .. هل فكرت فيما ستعملينه بعد ذلك ؟
هل ستعودين الى وطنك .
— لا ادرى .. ولعلى احصل على عمل هنا .
— الديك اية خبرة بعمل ما ؟
فقلت وهى تشيح بوجهها :
— لا .. مطلقا .. لقد تركت المدرسة فى العام الماضى فقط .
— وهل تعلمت فيها شيئا يمكن ان يفيدك فى عمل ما ؟

وكان سكوبى قد ادرك ان الفتاة تحتاج الى من يتحدث اليها .
انها تشعر بالعزلة والانفراد ، ولكنها تخشى ان تختلط باحد حتى
لا تكون موضع رثاء او شفقة ، اما اذا استطاع احد ما ان يبادلها
الحديث بلا هذا النوع البغيض من الاشفاق والرثاء ، فانها لا شك
ترحب به .

وقالت هى فى الرد عليه :
— كنت بارعة فى لعبة كرة السلة .

— حسنا .. ولكن جسمك لا يقنع احدا بانك تصلحين لان
تكونى مدرسة العاب رياضية .. اوه .. انى آسف .. لعل
جسمك كان رياضى القوام قبل .. قبل الحادث .

وفجأة اخذت تتحدث .. تتحدث عن امها التى ماتت وهى
صفرة ، وعن ابيها الذى يشتغل فى بلدة بيرى راعيا لكنيستها .
وهى بلدة قريبة من مدينة سانت ادموند .. وعن المدرسة الداخلية
التي عاشت فيها بعد وفاة امها ، وعن زياراتها لابيها فى العطلات
المدرسية والمواسم الدينية ، وعن مدرساتها وناظرة المدرسة وعن
المباريات الرياضية التى اقيمت بين مدرستها والمدارس الاخرى فى
المنطقة . وعن النزاهات الخلوية التى كانت تقوم بها مع التلميذات
والمدرسات فى كل يوم سبت او احد . وعن الفتيات اللاتي كن
يهربن من رقابة المدرسات ولا يعدن الا بعد منتصف الليل !

وكان هو ينصت مأخوذا ويتأمل كاسه من الجن حينا ، وينظر الى
هينيتها المتالتين بحماس الحديث حينا آخر ، وفجأة توقفت وقالت
— اوه .. معذرة .. ما هذا اللغو الذى اثرثر به !

- أننى مستمتع به .

- ولكنك لم تسألنى عن .. عن .. أنك تعرف .

وكان يعرف حقا .. لأنه قرأ التقارير التى كتبها مهندسو السفينة الفارقة ، وكان أحد الناجين فى زورق الانقاذ .. وقد ورد فى هذه التقارير كيف أصابت غواصة المانية السفينة بطوربيدات وكيف أعلن قائد الغواصة انه لا يستطيع انقاذ أحد لانه محاصر بالمدمرات البريطانية ، وكيف عاش الناجون نحو عشرين يوما فى زورق ليس فيه غير كمية محدودة من الماء وأخرى من الخبز والجبن ، وكيف مات بعض الناجين ، وكيف جن أحدهم .. وكيف أخذ الزورق يرتفع وينخفض على الأمواج فى محيط لا يرحم ، والأمل فى النجاة يتلاشى يوما بعد يوم ، وكان هو يفكر فى هذا كله يسمعا تقول « ولما انتهى العام المدرسى ، بكيت وأنا عائدة الى بيت أبى فى سيارة مأجورة .. وكان ذلك فى آخر شهر يوليو » فى آخر شهر يوليو .! أى منذ تسعة أشهر .. تسعة أشهر تزوجت فيها الفتاة ، وفقدت فيها الزوج وهما فى شهر العسل ، وعانت فيها تجربة رهيبة مات خلالها رجال ، وجن بسببها رجال ! وانطلقت صفارة الأمان فى تلك اللحظة ، ولكن كلا منهما لم يحفل بها ، وانما عادت الفتاة تقول :

- ما أكثر ثرثرتى؟! هل تعتقد أننى سأستطيع النوم الليلة فى

أمان .

- هل تعانين من الأرق؟!!

- نعم .. لأننى حين استغرق فى النوم ، تهاجمنى الأحلام المزعجة . وفى كثير من الأحيان استيقظ وأنا ارتعد خوفا ، لانى أحسب نفسى لازلت فى الزورق الرهيب المتأرجح فوق الأمواج بلا أمل فى النجاة .

- لسوف تتخلصين من هذه الأحلام تدريجيا .. وأؤكد لك

أنك ستنامين هنا فى أمان تام ، لأنه ليس هناك ما يدعو الى خوفك . ولا تنسى ان ثمة حارس ليلى يطوف بهذه المنطقة .. وسوف أوصيه بك .

وقالت وهى ترفع وجهها اليه :

- انك انسان طيب القلب جدا .. وكذلك المسز هاليفاكس؟
والمسز كارتر .. ولكنك اطيب قلبا من اى انسان عرفته .. اننى
.. اننى اميل اليك جدا .

- وأنا اميل اليك جدا ..

وكان الاثنان يشعران فى تلك المقابلة الاولى انهما فى امان كامل
من الوقوع فى الحب . اذ كيف يخطر ببال رجل مستقيم مثل
سكوبى ان يحب ، وهو يقترب من الخمسين ، فتاة لا تتجاوزا
السابعة عشرة؟! ولاشك ان هذا ما كان يدور بنفسها ايضا . ان من
الممكن ان يصبحا صديقين حميمين ، ولا شىء آخر . ان بينهما
فوارق عديدة .. فارق السن .. وفارق الزوج الفارق .. وفارق
الزوجة الغائبة التى سوف تعود ان عاجلا او آجلا .. ولهذا كله
لم يكن هناك ما يدعو احدهما لان يخشى ما يقوله للآخر من كلمات
الحب .

وقال لها وهو ينهض:

- ألا تريدن شيئا قبل أن انصرف؟

ونظرت اليه بوداعة وقالت:

- الا يمكن ان تمكث فترة أخرى؟

- سوف ازورك غدا وأحضر معى بعض طوابع البريد لاضمامتك

ونظرت هى الى اضمامة طوابع البريد ، ثم ابتسمت قائلة:

- ألم اقل لك انك اطيب انسان عرفته!

- طابت ليلتك ..

- طابت ليلتك .. سأنتظرك غدا .

وغادر الكوخ وهو يشعر بسعادة لا توصف .. ومن قرط

استغراقه فى هذا الشعور ، كان يسير فى المطر وهو لا يدري انه نسي

مظلته فى كوخ الفتاة!!

« الفصل السادس »

« الحب يسخر من الفوارق »

ظل سكوبى مشغولا فى مكتبه من التاسعة صباحا حتى

الحادية عشرة والنصف ظهرا . ثم استأنف العمل بعد ساعتين

حتى التاسعة مساءً وفيما هو يعود بسيارته الى البيت ليكتب رسالته الاولى الى زوجته لويز ، التقى بالمستر هاريس أمام فندق يدفورد ، فتوقف بسيارته ، وحياه ، وكان هاريس يلوح له بيديه لطفل سعيد بدمية جديدة .

وقال سكوبى :

— ماذا حدث .. هل ربحت الدرعى ؟

— لا .. ولكننى حصلت على مسكن فى الاستراحات الحكومية .. وسوف يكون ويلسون شريكاً لى فيه ..

وحاول سكوبى أن يخفى الامتعاض الذى شعر به ، وقال :

— أرجو أن يكون منزلاً مباركاً .. وبين ويلسون ! !

— لقد سافر الى لاجوس ليغيب اسبوعين .. انه يذكرنى

بألزهره القرمزية فى الرواية المعروفة .. مارايك فيه يا ميچور سكوبى .

— شاب لطيف .. قليل الخبرة بالحياة .. ولكنك ستستريح

أقياً الاقامة معه على كل حال .. هل تحب أن أصحبك الى مسكنك الجديد ؟ !

— لا .. ليس الآن .. اننى أبحث عن مركبة تحمل كل امتعتى

الى هناك .

وتركه سكوبى ، ومضى الى البيت : وبعد ان تناول عشاءه ،

جلس وكتب رسالته الاولى الى زوجته ، وحرص على ان يبشأ اشواقه ووجه بأسلوب رقيق مهذب لأنه كان يعلم أن الرقابة تفتح

جميع الرسائل وتقرؤها بامعان .

ولم ينس أن يحدثها عن زيارته للمسز رولت أو هيلين ، كما

هرف أن هذا هو اسمها قبل الزواج ، وان يحدثها عن ويلسون وعن

بحزنه الشديد على سفرها ، وعن انتظاره لعودتها فى لهفة وشوق

.. واختتم خطابه متمنيا لها السعادة ، لأنه يستمد سعادته من سعادتها هى .

وبعد أن فرغ من الرسالة ، غادر البيت فى طريقه الى لوخ

هيلين .

- لقد احضرت لك بعض طوابع البريد .. كان لدى مجموعة منها ، كما حصلت على عدد آخر من المسز كارتر وكانا جالسين فى الكوخ ، يشعران بالراحة والامن . وصال لها متسائلا :

- لماذا تهوين جمع طوابع البريد؟! .
فردت هيلين رولت قائلة :

- لا ادرى .. لعلها عادة نشأت معى منذ ان اهدانى أبى هذه الاصمامة فى عيد ميلادى الخامس عشر . ومنذ ذلك الحين وأنا احملها معى وأضيف اليها ما يقع فى يدى من طوابع جديدة أو قديمة .

وبعد برهة من الحديث عن الطوابع ، قال لها :
- انك لم تحدثينى بالتفصيل عن زوجك ؟
- نعم .

- ان من السهل على الانسان أن يقطع صفحة من كراسة حياته ، ولكن مكان القطع يبقى امامه دائما ..
.. هذا صحيح .

- ولكن الأسهل من هذا أن يتحدث الانسان عن جزء ضاع من كراسة حياته حتى لا يشعر دائما بهذا الضياع .
فهزت رأسها وقالت :

- اننى لا أشعر فى الواقع بهذا الجزء الضائع من حياتى . «
بل على العكس ان الشيء الذى يقلقنى هو بساطة النسيان ؟ اننى أشعر بالقلق لأنى نسيت أمر زوجى الفارق بسهولة وبساطة .. «
لقد مات ولم يمر على موته غير اسابيع قليلة . ومع ذلك فانى اكاد أنسأد تماما .. ان هذا هو ما يشير القلق فى نفسى ويجعلنى اشعر انى انسانة بلا وفاء .
فابتسم سكوبى برفق وقال :

- لا داعى لكل هذا القلق أو اللوم النفسى ، لان هذا هو الشعور الطبيعى لكل انسان آخر ، كما اظن . فاذا قال احد لآخر « اننى لا استطيع ان أعيش بدونك » فهو فى الحقيقة يعنى انه

لا يستطيع أن يعيش وهو يحس أن حبيبه بأئس أو حزين أو محتاج . أما إذا مات الحبيب ، فإن الشعور بالمسئولية نحوه ينتهى . لأن الانسان لا يستطيع أن يفعل شيئاً للميت الا أن يتركه فى سلام .

وقالت هيلين :

- اننى لم اكن اعرف اننى جامدة الاحساس الى هذا الحد .
- هذا ما يخيل لنا احيانا . . لقد كانت لى طفلة ماتت وهى فى التاسعة ، وكنت اظن اننى لن استطيع الحياة بدونها يوماً واحداً . . وها قد مر على موتها ثلاثة أعوام ، ولكننى أعيش كما ترون ، وكل ما احمله عنها ذكريات تطوف بى حيناً بعد حين . . وهذا طبعاً لا يعنى جمود الاحساس ، وانما هى طبيعة الحياة .
- لا شك أن صدمة موتها كانت رهيبة ؟ !

- نعم . . وكانت اشد على أمها لويز . . لانها كانت معها فى ساعة موتها ، ولأن حزن الام يكون عادة اقوى وأعمق . . ولكن الحياة بطبيعتها تسير بنا الى الامام ، لا الى الوراء . . وهذا ما يجعلنا نتغلب على كل صدمة مهما بلغت قوتها .
وازداد شعور كل منهما بالراحة الى وجود الآخر . . وكان الحديث عن وفاة الاحباب قد ضاعف الروابط بينهما ، ويجعل هيلين تقول :

- لست أدرى لماذا احس بالعزاء والراحة معك !

- اعتقد أن الجميع هنا يتمنون أداء أية خدمة لك .

- ربما . . ولكن يبدو لى انهم يفزعون منى !

ولما ضحك ، قالت مستطردة :

- نعم . . ان الضابط الطيار باجستر صحبنى اليوم بعلا الظهر الى البلاج ولكنه نفر منى لانى لم اكن سعيدة معه بسبب وفاة زوجى . وكان الجميع على البلاج يحاولون أن يتظاهروا بالسعادة على نحو ما . ولكننى بقيت صامتة ، ولما حاول باجستر أن يغازلنى ويتحسس ساقى ، طلبت منه العودة الى هنا .

- لماذا ؟

- لاني كنت أشعر بالخوف من البحر .
- وهل كنت تحبين زوجك اشد الحب !!
- اننى اعرف الآن اننى لم اكن احبه كما كنت اظن . ولعلى
أحببته لانه كان دائما لطيفا معى ، باذلا كل جهده لاسعادى ..
ولكن فترة زواجى القصيرة لم تتح لى الوقت الكافى لاعرفه على
حقيقته .. والمعروف أن شهر العسل لا يكشف للزوجين الا
الجوانب الرقيقة العذبة .

- وهل أرسلت الى ابيك تخبرينه بما حدث !
- نعم . وقد أرسل برقية يقول فيها انه سيدبر كل وسيلة
لإعادتى الى بلدته ، بىرى ، ولكننى لا اعرف ماذا سيفعل ، انه
يعيش فى شبه عزلة ، وليس له أصدقاء او معارف ..
- وماذا ستفعلين عند عودتك الى وطنك ؟

- لا ادرى .. لا شك أنهم سيجندوننى
وقال سكوبى لنفسه : نعم .. سيجندونها .. سيرسلون بها
الى المراكز العسكرية .. الى المطابخ أو المستشفيات .. الى
الجنود الجائعين دائما للجنس ، ولا شك أن ماستلقاه فى هذه
الفترة سيكون اقسى وأعنف مما لقيته وهى على زورق نجاة يتأرجح
بها فوق الامواج عشرين يوما بلا امل ..

- الا تعرفين الاختزال او اية لفة اجنبية ؟
وكان هو يعلم ان المتعلمات المثقفات المؤهلات يمكن ان يتجنبن
مطابخ المسكرات ومستشفياتها ومراكز الترفيه فيها ! .
وردت قائلة :

- لا .. اننى لا اكاد اعرف غير القراءة والكتابة ؟ .
- هل تعرفين العمل على الآلة الكاتبة ؟

- استطيع ان اكتب بسرعة بأصبع واحدة .
- اذن يمكننى ان اجد لك عملا هنا . اننا فى حاجة الى
سكرتيرات بالمحافظة ، ان جميع الزوجات يعملن بها ، ولكننا فى
حاجة الى المزيد . ولكننى أخشى الا يلائمك الجو هنا .
- اننى أتمنى أن ابقى .. هل تشرب معى كأسا . !

ثم نادى الغلام الخادم قائلة :

- يا ولد .. يا ولد ؟ !

وضحك سكوبى وقال :

- انك تتقدمين بسرعة فى التكيف مع الحياة هنا .

واقبل الغلام يحمل زجاجة الشراب والاكواب . وقال له

سكوبى :

- ما اسمك يا ولد ؟

- فاندى ياسيد .

- اتعرف من انا ؟

- انك ضابط البوليس الكبير ياسيد .

- حسنا .. اذا اخلصت فى عملك مع السيدة ، فسوف

الحقك بعمل آخر افضل عندما تعود هى الى وطنها .. اتسمع ؟ .

- اجل يا سيد .

وبعد انصراف الغلام ، وضع سكوبى فى كأس هيلين بعض

الشراب ، وفى كأسه بعضا آخر ، بينما قالت وهى تنصت الى

المطر المنهمر فى الخارج :

- اننى سعيدة بالحديث معك يا ميجور سكوبى ، لانى اشعر

أن فى مقدورى ان أقول لك كل شىء دون الخوف من ان اجرح

شعورك . اننى فى امان معك .

- كلانا فى امان معا ..

وظللت الامطار تحيط بهما ، وتتساقط على السقف المعدنى

برتابة لا تنقطع ، وعادت هى تقول :

- يا الهى .. ما اطيب قلبك .

- لا ..

- اننى اشعر فى اعماق نفسى انك لن تخذلى يوما .

وقبل ان يرد عليها ، سمع الاثنان طرقا على الباب ، وصوتا

يقول :

- اننى فريدى باجستر .. فريدى باجستر فقط يا هيلين .

وهمست هيلين فى اذن سكوبى وهى تضع ذراعها فى ذراعه :

- لا ترد عليه .. أرجوك .. لا ترد عليه .
 ثم راحت ترقب الباب بغم مفتوح قليلا وكانما تلتقط انفاسها
 بمسقة .. وشعر سكوبي كأنها حيوان صغير يطارده وحش كبير .
 وعاد باجستر يقول بصوت ينم عن السكر :
 - افتحي الباب يا هلين وكوني لطيفة .. اننى باجستر .
 اللطيف .. تاكدي اننى سأجعلك اسعد انسانة الليلة .
 وظلت هيلين ممسكة بذراع سكوبي فى شىء من الخوف
 والترقب ، ولما سمعت وقع خطوات فريدى باجستر وهو يبتعد
 قنهدت فى ارتياح ، ورفعت وجهها الى سكوبي .. وغابت معه
 اقى قبلة طويلة .
 وثبتت ان الفوارق التى كانا يحسبانها حوائل دون الوقوع
 فى الحيب ، ليست الا وشائج كانت تشد كلا منهما الى حب الأخره .

«الفصل السابع»

«مزيد من الحيب»

ومر شهر .
 وقالت هيلين لسكوبي وهما جالسان معا فى الكوخ ، والأمطار
 تحيط بهما ، وتتساقط على السقف المعدنى كطرقات أصابع
 شخص لا يباس من الدخول :
 - رأيتك اليوم فى البلاج .. بعد الظهر .
 وأحسن سكوبي من نبرات صوتها، أنها ستتحدث معه كما كانت
 تفعل زوجه لويز عند استيائها من شىء . وقال وهو ينظر الى
 كأس الويسكى الموضوع أمامه :
 - كنت أبحث عن الضابط ريز ، ضابط المخابرات بالسلاح
 الجوى .
 - ولكنك لم تحاول أن تتحدث معى .
 - كنت متعجلا .
 - بل كنت شديد الحذر . كمادتك دائما .
 وأدرك هو لماذا فكر فى لويز عند سماعه نبرات صوت هيلين !
 وتساءل فى نفسه : هل من الضرورى ان يسير الحيب فى نفس

الطريق! حقا ان مذاق الحب كان مختلفا .. لقد حاولت في العامين
الآخرين أن يتجنب بقدر الامكان ممارسة الحب مع زوجته حتى
يعنى نفسه ، ويعفيها ايضا من عملية آلية تقوم على النفاق وحدها
وضحك قائلا:

- للمرة الاولى منذ عرفتك يا هيلين لم اكن افكر فيك ، وانما
في شيء آخر .

- أى شيء آخر ؟

- في الماس مثلا ..

- هل يعنى هذا أن عمك أهم شأننا منى ؟ .

وقال لنفسه : اوه .. لويز .. ولويز دائما .. ولكن لا ..

أن حبه لهيلين يختلف كثيرا عن حبه الذى كان للويز .. لا وجهه
للشبه بين الاثنين .

وقال بصوت مسموع :

- ومع ذلك فانى على استعداد للتضحية بعملى من اجلك .

- لماذا ؟

- لأنك ، كما اعتقد انسانة . ان المرء قد يحب كلبا اكثر من

حبه لأى شيء آخر يقتنيه . ولكن المرء لا يستطيع ان يدوس
بسيارته طفلا ، ولو كان غريبا ، لينقذ كلبه المحبوب .

فقال في ضيق :

- اوه .. لماذا تحاول دائما ان تكون صادقا معى ! اننى لا اريد

هذا الصدق في كل وقت .

وقدم لها كأسا من الويسكى وهو يقول :

- يا عزيزتى .. انك انسانة سيئة الحظ بحبك لى .. انك

تحبين رجلا في منتصف العمر بينما أنت لم تبدئى بعد عمرك . ولهذا
لا نستطيع ان يكذب احدنا على الآخر كما يفعل الصغار .

- اوه .. لو انك تعلم مدى ضيقى بحذرك ! انك تاتى الى دائما

بعد الغروب .. وتتسلل خارجا قبل ان يسفر الفجر .. ان هذا
لا يطاق .

- اجل .

- ونحن هنا في هذا الكوخ العارى نمارس الحب ، ولعلنا اذا

تخرجنا منه الى مكان آخر لا نعرف كيف نمارسه لطول اعتيادنا عليه .

- يا عزيزتى المسكينة !

فهتفت قائلة فى حدة وانفعال :

- اننى لست فى حاجة الى عطفك . .

ولكنه كان يعلم انها نالت عطفه وانتهى الامر . ان العطف ينمو فى قلبه دائما كالعشب البرى . انه لا يستطيع ان يتخلص منه ابدا . . انه يعرف بالتجربة كيف يموت الاشتهاء . . وكيف يموت الحب . . ولكن العطف يبقى دائما . لا شئ يقتله أو يخفف منه ، لان طبيعة الحياة ترعاه - ولكن هناك انسانا واحدا غير جدير بالعطف ، يعرفه هو - انه هو نفسه .

وعادت تقول :

- الا تستطيع ابدا ان تغامر بشئ ؟ انك لم تكتب لى مرة واحدة اية كلمة فى رسالة . انك ترحل احيانا الى المناطق المجاورة لتتشفل بأعمالك يومين أو ثلاثة دون ان تترك لى كلمة واحدة . بل انك لا تسمح لى بوضع صورتك هنا حتى اجعل فى هذا المكان شيئا من الحياة .

- ولكن ليس لدى صور شمسية !

- لعلك تظن اننى قد استغل رسائلك للاضرار بك ؟

وقال لنفسه فى وهن : لو اننى اغلقت عينى ، لظننت ان لويزا هى التى تتكلم ، وكل الفرق ، ان هذا الصوت اصفر ، واعجز من ان يشير الالم فى نفسى من صوت لويزا .
وقال لها والكأس فى يده :

- انك يا عزيزتى تظلميننى .

- اوه . . انك تعاملنى كطفلة . . وتحضر معك كلما جئت مزيدا

من طوابع البريد .

- اننى احاول حمايتك من السنة السوء .

- انا لا يهمنى اطلاقا ما يقال عنى . . اننى لا اعتبر الحبيب

بخطيئة او عارا .

وقال لها بهدوء :

- إذا كثرت الأقوال عنا ، فإن هذا يعنى نهاية علاقتنا .
- اذن فانت لا تريد حمايتى بقدر ما تريد حماية زوجتك .
- ان الامر سواء .
قهتفت فى انفعال شديد :
- اتقارنى بتلك . . بتلك المرأة !!

ولم يستطع أن يخفى الشعور بالآلم عند سماعه هذه العبارة ،
وأدرك أن المرأة ، أية امرأة ، قادرة على إثارة آشد الآلم فى قلب
الرجل . وأسوأ من هذا جعلها تدرك نقطة الضعف فيه . لقد وضع
نفسه الآن بين يديها ، وسوف تعرف بعد ذلك دائماً كيف توجه
إليه آشد الطعنات المؤلمة . انها الآن كطفل فى يده مقص ، يعرف
مدى قدرته على الإيذاء .

وقال لها بنفس الهدوء :

- يا حبيبتى . . اننا احدث عهداً فى الحب من أن نبدأ
الخلاقات !

ولكنها قالت وهى تراقب عينيه لتقرأ فيهما الآلم .

- تلك المرأة ! انك لا تفكر أبداً فى تركها . . أليس كذلك ؟
- اننا متزوجان . .

- اذا عرفت بأمر علاقتنا هذه ، فهل ستعود إليها ذليلاً كالكلب

المضروب ؟

وقال لنفسه فى عطف : ان هيلين لا تقرأ نفس الكتيب الراقية
التي تقرأها لويز . .

وقال بصوت مسموع :

- لا أدري .

- معنى هذا انك لن تتزوجنى أبداً . . أبداً .

- هذا مستحيل . . اننى كاثوليكي المذهب كما تعلمين ، ولا

أستطيع من ثم أن أتزوج مرتين .

- انه عكس مدهش . . انه لا يمنعك من أن تعاشر امرأتين فى

وقت واحد . . وانما يمنعك فقط من الزواج بى .

- نعم . .

وتنهى فى ألم قائلاً لنفسه : لشد ما اكبرت فى العمر خلال شهر

واحد ! انها ما كانت تستطيع منذ شهر أن تثور هكذا . ولكنها تعلمت في ثلاثين يوما كيف تحب في خفية عن أعين الناس ! ترى ماذا يحدث لو طالت المدة سنوات ؟ هل سيكون هناك فارق كبير بينها وبين لويز !

وقالت هي :

- استمر في الحديث . . حاول أن تبرر تصرفاتك .

- ان الانسان لا يستطيع أن يبرر ارادة الله .

- اوه ؟ انك تراوغ . . انك تهرب من مواجهة الحقيقة .

وبهدوء قال :

- كنت حسن النية في علاقتي بك .

- ماذا تعنى ؟!

- اعنى انى بدأت علاقتي بك وأنا أرجو أن اكون صدقا لك

أن أركعك واحاول ادخال السعادة على قلبك .

فقالت بلهجة الانسان الذى يتحدث عن شيء مرت عليه

سنوات :

- ألم أكن سعيدة من قبل !

- كنت وحيدة . . تعانين من صدمة قاسية .

- ولكننى لم أكن أشعر بالوحدة التى اشعر بها الآن . اننى

اذهب حقا مع المسز كارتر الى البلاج عندما يتوقف المطر . . وهناك

يفازلنى باجستر ويطلب أن أسمح له بقضاء ليلة معى . ولكننى

أبدو أمامه باردة جامدة الاحساس . ثم أعود الى هنا قبل أن يعود

المطر الى الانهمار . . وانتظرك . . ثم نشرب معا بضعة كئوس . .

وتمطينى بضعة طوابع بريد كأتى طفلة !

فقال وهو يضع يده على بدها ويحس مع كل كلمة كأنه يسير

في حقل ملىء بالالغام التى يخشى أن تنفجر تحت قدميه فى كل

خطوة :

- اننى آسف . آسف على كل شيء . وانى مستعد أن أفعل

أى شيء لأجعلك سعيدة . اننى مستعد أن أمتنع عن الحضور إذا

كان هذا يسعدك . مستعد أن اطلب احوالى الى المعاش وأرحل الى

انجلترا إذا شئت .

- وعندئذ تتنهد في ارتياح لأنك تخلصت مني .
- بل سأشعر أن حياتي انتهت .
- أرحل إذا شئت .
- اننى لا أريد أن أرحل . . وانما أريد أن أفل ما يسعدك .
فقالت ساخرة :

- أنك تستطيع أن تبقى أو ترحل كما تشاء . اما أنا فلاستطيع
أن أتحرك من مكاني هنا ! اليس كذلك ؟

- ان في مقدورى أن أدبر لك أمر السفر على اول باخرة تمر
بنا اذا أردت . .
فقالت وهى تبكى :

- ولشد ما ستكون سعيدا عندئذ لخلاصك مني !
ولما مديده ليمسك يدها ، صرخت في وجهه قائلة :
- ابتعد عنى . . ابتعد عنى . . اغرب عن وجهى .
- سوف أنصرف . .
- نعم . . أخرج ، ولا تعد مرة اخرى .

وفي خارج الكوخ ، والمطر يخفف من حرارة وجهه ، وينساب
على يديه ، فكر في كم تكون الحياة هينة لو أنه استجاب لهيلين
وقرر ألا يعود إليها . انه عندئذ سيذهب الى بيته ، ويفلق الباب
على هذه المرحلة من حياته نهائيا ، ويكتب رسالة الى لويز ، لا يكون
فيها مخادعا أو مرأيا ، ثم يستغرق في نوم لم ينعم بمثله منذ امنا
بعيد ، وفي اليوم التالي يذهب الى مكتبه ، ثم يعود الى بيته
الهاديء ويفلق الباب ، وينعم بالسكينة والسلام . . ولكنه ، وهو
يهبط التل ، ويتجاوز مركز النقل البرى ، والمطر يتساقط
كالدموع ، عاد يفكر فيها وفي وحدتها بالكوخ ، وفي حياتها المقبلة
مع المسز كارتر والشاب باجستر حتى تأتي احدى البواخر
وتنقلها الى مرحلة اخرى من حياتها . . انه على استعداد لان يمتنع
عن الذهاب الى كوخها اذا كان في هذا الامتناع سعادة لها ، وكان
فيه عذابه . اما ان يكون هو سعييدا ، وهى معذبة ، فهذا
ما لا يستطيع ان يواجهه . . وتراءت له وجهة النظر الاخرى فى

طريقه كأنها البريئة الذبيحة.. نعم .. انها على حق.. وان اسرافه في اتخاذ الحذر لا يمكن ان يطاق .

ولما فتح باب غرفة الجلوس ، رأى فأرا كان يحاول البحث عن منفذ الى خزانة الطعام ، يتراجع ببطء ويصعد الى غرفة النوم . وتذكر سكوبى أن لويز ليست موجودة ، والا لصرخت فزعا لرؤية الفأر .. انها الآن في المكان الذى أرادت أن تذهب اليه .. انها سعيدة ، وما عليه الا أن يدخل السعادة أيضا على قلب هيلين .. ان هذه مسئوليته نحوها .. ومن ثم جلس الى منضدة الكتابة ، وتناول ورقة من اوراق المكتب الرسمية ، وسجل في الركن الأيمن منها تاريخ اليوم والساعة وكأنه ينوى ان يكتب تقريرا رسميا عن حادث ما . وكتب ما يلي وقد أزمع أن يضع نفسه بين يديها تماما: « حبيبتي : اننى أحبك اكثر من أى شىء فى الدنيا .. أكثر من زواجى ، وأكثر من .. من نفسى ومستقبلى ، وأرجوك أن تحتفظى بهذا الخطاب .. لا تحرقيه ، وكلما غضبت منى اقرئيه .. اننى أحاول أن أكون صادقا معك .. ان كل هدفى فى الحياة أن اجعلك سعيدة . اننى احبك .. احبك .. فسامحنى » .

ووقع على الرسالة وطواها ، ثم ارتدى معطف المطر ، وغادر البيت ، وعاد فى طريقه الى كوخ هيلين ، غير حافل بالظلام ، ولا بالامطار المنهمرة ، ولا بطول المسافة ذهابا وايابا .. ولما وصل الى الباب ، دفع بالرسالة من تحته الى أرضية الكوخ الاسمنتية . وشعر بالارتياح وهو يعود الى بيته .. انها لن تهتمه بعد اليوم بالمبالغة فى الحذر او الخوف على نفسه من أحدا يا كان .

« الفصل الثامن »

« الرسالة الضائعة »

دخل سكوبى مكتبه وهو فى الطريق الى مقابلة الحكمسدار ٤ وفوق المكتب رأى رسالة قصيرة مكتوبة بالقلم الرصاص من ويلسون « جئت لزيارتك ، لا لأمر هام » وتذكر سكوبى انه لم يرد ويلسون منذ عدة أسابيع ، واذا كانت زيارته ليست لأمر هام ، فلماذا جاء ، ولماذا ترك هذه الرسالة . وفتح درج مكتبه ، وشعر

لاول وهلة أن يدا عبثت بمحتوياته ! فما معنى هذا ؟ هل كان
ويلسون يفتش مكتبه خلسة ؟ ولماذا ؟ أم لعله كان يبحث عن قلم
يكتب به الرسالة ؟

واقبل أحد الجاويشية وقال :

— لقد جاء المستر ويلسون لزيارتك .

— نعم . . اعرف .

وفي مكتب الحكمدار ، قال هذا « اى الحكمدار » لسكوبى :

— ويسكى ؟

— لا شكرا . . هل تثق بى يا سيدى ؟ .

— نعم . . .

— وهل أنا الوحيد الذى لا يعرف الحقيقة عن ويلسون ؟

وابتسم الحكمدار وتراخى فى مقعده وقال :

— لا يعرف حقيقة أمره رسميا الا أنا ومدير الشركة التى يعمل

بها . والحاكم العام طبعاً ، وأى موظف يعمل فى رقابة الرقيات .
اننى مسرور لمعرفتك هذه الحقيقة بنفسك .

— اننى أريد ان أعرف هل أنا حتى — هذه اللحظة — موضع

ثقتكم ؟

— طبعاً يا ميجور سكوبى .

— رغم كل ما يشاع عن علاقتى بالتاجر يوسف ؟

— اننا لا نترك الشائعات تتحكم فى أعمالنا كما تعرف باميجور

سكوبى .

— ولكن هناك شيئاً لا تعرفه . لقد اقترضت من يوسف مائتى

بجنيه لأدفع نفقات سفر لوزير الى جنوب افريقيا . . وانى ادفع له

إقائدة مقدارها أربعة فى المائة . وهذا مجرد اجراء مالى لا اكثر .

— إذا رأيت اننى خالفت القانون فيمكنك أن تحاكمنى .

فقال الحكمدار بمطف :

— يسرنى ان اسمع منك هذا . لأن ويلسون يعتقد ان يوسف

يهددك بشيء ما ، ولا مندوحة من أن يعرف بأمر هذا القرض يوماً .

— ان يوسف لا يستطيع أن يسيطر على المال .

- هذا ما قلته لويلسون .
- هل تريد أن تحاكمنى ؟
- لا يا سكوبى . انك الوحيد الذى نثق فيه تمام الثقة .
- وتصافح الرجلان فى صمت :
- وقال الحكمدار بعد برهة وجيزة :
- لقد ورد الينا بلاغ من بلدة دبرى بحدوث سرقات كبيرة فى مناجم الماس .
- الماس الصناعى ؟
- لا . . . الطبيعى . . . ولا شك أن يوسف أو طالوت وراء هذه السرقات .
- اعتقد أنه يوسف ، لأنه لا يتعامل فى الماس الصناعى . انه يسمى هذا النوع من الماس حصى . . . ولكن لا بد لنا من أدلة كافية .
- لسوف تصل الباخرة « أسبرانكا » بعد أيام قليلة ، ويحسن أن نراقبها بحذر وامعان .
- وما رأى ويلسون فى هذا الشأن ؟
- انه يؤمن ببراءة طالوت ، ويعتقد أن يوسف هو المهرب الوحيد للماس .
- اننى لم أر يوسف منذ مدة طويلة .
- ائنا نعرف هذا ، وبهذه المناسبة أخبرك أن ويلسون يراقبنا جميعا ويفدم تقاريره عنا . . . عنك وعن فريزر وتود وثمانيلج ؟
- ويرى اننى متساهل جدا ولكن هذا كله لا يهم ، لأن الكولونيل رايت يمزق تقاريره ، وان كان ويلسون يقدم تقاريره عن رايت أيضا .
- وهل هناك من يراقب ويلسون ويكتب التقارير عنه !
- أعتقد هذا .

* * *

وسار سكوبى ، فى منتصف الليل الى منطقة الاستراحات الحكومية . وكان يشعر بالامن بسبب حالة اطفاء الأنوار العامة . وهذا يعنى أنه غير مراقب ، وغير معرض لأن يضع أحد تقريرا عن زيارته لكوخ هيلين فى مثل هذه الليالى . ولكن كان عليه أن يتخذ جانب الحذر ، لأن الكوخ الذى يقيم فيه ويلسون مع هاريس لم

يكن يبعد عن كوخ هيلين الا مسافة يسيره . واحس بتعب شديد
وقال لنفسه : لسوف امضى الى البيت . لن انسلل اليها هـ
الليلة . لقد كانت كلماتها الأخيرة امرا لى بعدم العودة . الا يستطيع
الانسان ، لمرة واحدة ، ان يحمل كلام انسان آخر على محمل الجـ
وتوقف سكويى على مسافة ثلاثين خطوة من كوخ ويلسو
وهاريس . وكان ثمة ضوء خفيف ينساب من فرجة الستائر
وسمع صوت رجل مخمور يفنى من بعيد . وظلت الأمطار تلعو
وجهه وتهدىء من ثورة نفسه . وعاد يقول : لسوف اعود الى بيتى
الى فراشى . وفى الصباح ساكتب رسالة الى لوز ، وفى المسا
سأذهب لاعترف بذنوبى بين يدى القسيس . وبهذا اعود الى رحم
الله . وستعود الحياة كما كانت ، بسيطة خالية من الهموم .
وظلت الأمطار تتساقط امامه كالنار ، واخذت الاوحال تثر
تحت قدميه وهو يسير نحو كوخ هيلين .

وطرق الباب مرتين . وفتح الباب فورا . وكان يبتهل فى قرارة
نفسه ، بين الطرقتين . الا يفتح الباب . . ان ترفض هيلين ،
بسبب غضبها منه ، ألا تسمح له بالدخول . ولكن الباب فتح ،
وأدك أنه لا مفر له من ان يدخل ، وان يحب وان يقبل المسؤولية ،
وان يكذب .

وسمعها تقول بحرارة وشوق :

— أوه . . يا حبيبى . . لقد عدت وكنت أحسبك لن نعود ابدا
بعد كل ما فعلته بك !

— اننى لا استطيع الا ان آتى اليك كلما شئت .
— احقا !

— نعم . . طالما بقيت على قيد الحياة .

وقال لنفسه « رحماك يا الهى . . اننى اغضبك . . ولكن . .
هل تقبل ان ارضيك على حساب سعادة واحدة من مخلوقاتك ؟ »
واسدلت هيلين الستائر بعناية وقالت وهى تلقى بنفسها بين
ذراعيه :

— كنت أخشى الا تعود يا حبيبى .

— وهل كان يمكننى ان افعل هذا . .

- لقد أمرتك بعدم العودة .. والآن أرجوك الا تحفلَ بما أقوله
لك في ساعة الغضب .. عدنى بذلك .
وقال وهو يشعر كأنه يوقع بيده على وثيقة مستقبله كله :
- أعدك .
وقالت وهى تزداد تشبثا به :

- اتعرف ماذا كنت سأفعل لو لم تعد الى ؟ كنت سأسلم
نفسى لباجستر ، او انتحر .. او ارتكب الأمرين معا .
- لا لا .. لا ينبغي ان تفكر فى شيء كهذا ، لسوف أكون دائما
بجانبك طالما انت فى حاجة الى ، وطالما كنت أنا على قيد الحياة ،
- لماذا تقول دائما عبارة « طالما كنت على قيد الحياة ؟ »
لان الفارق بينى وبينك ثلاثون عاما .

ولاول مرة فى تلك الليلة تبادلنا قبلة طويلة ، قالت هيلين بعدها:
- اننى لا اشعر بهذا الفارق .
- ولكن لماذا كنت تظنين اننى لن اعود .. ألم نمرى رسالتى
اليك .

رسالتك ؟!

- الرسالة التى دفعت بها من عتبة الباب أمس !
فقلت فى جزع :

- اننى لم ار رسائل قط هنا .. ماذا قلت فيها ؟!
فلمس وجهها برفق ، وابتسم حتى يخفى شعوره العميق
بالخطر ، وقال
- كل شيء . اردت ان اثبت لك اننى لا اتخذ جانب الحذر
خوفا على نفسى . لقد ذكرت فيها كل شيء . بخط يدى .
- ووقعت عليها باسمك ؟
- نعم .
- ان هناك حصيرة وراء الباب .. لعلها دخلت تحتها .
ولكنهما كانا يعلمان انهما لن يجدا الرسالة تحت الحصير
وقالت هى :
- ترى من اخذها ؟!

وحاول أن يهدى من روعها!

لعل خادمك حسبها ورقة مهملة والقى بها فى الطريق! ..
لأنها لم تكن داخل مظروف . ولن يعرف أحد شخصية المرسل
اليها ، لأننى لم اكتب اسمك عليها

- ولكن اذا وقعت الرسالة فى يد عدو لك فسوف يستطيع
أن يهددك بها ويرغمك على تنفيذ رغباته .. اننى خائفة عليك
يا حبيبى .. خائفة جدا ، اننى اتمنى أن أموت قبل أن ينالك
ضوء على يدي .

- أن الأمر لن يصل الى هذا الحد .. اطمئنى .
ولكنها استطردت تقول بحرارة :

- لاتدعنى أسىء إليك يا حبيبى .. أرجوك .. أرجوك ..
روبت على يدها برفق وقال :

- أنك لن تسىء الى يوما .. ولا تجزعى بشأن الرسالة
الضائعة ، يبدو أننى بالفت فى أهميتها . ولا اعتقد أن أى شخص
غريب يستطيع أن يفهم منها شيئاً محمداً . فلا داعى للقلق
يا عزيزتى .

- اسمع يا حبيبى .. لانمكت الليلة هنا .. أن أعصابى
مضطربة .. ويخيل لى أن هناك من يراقبنا . انصرف الآن ، ثم
عد غداً .. أو بعد غد .. أرجوك أن تعود ..

كان الضوء لا يزال ينساب من فرجة الستائر فى نافذة كوخ
هاريس وويلسون عندما سار سكوبى فى طريق العودة الى بيته .
ولما فتح باب البيت ، فوجىء برؤية رسالة صغيرة ملقاة على الأرضية
وخيّل إليه برهة أن رسالته الضائعة قد عادت كما تفعل القطعة
عندما يحاول أصحابها أن يتخلصوا منها . ولكنها لم تكن رسالة
حين التقطها . بل لم تكن رسالة على الإطلاق ، وإنما برقية واردة
إليه من مركز الشرطة . وكان التوقيع عليها « لويز سكوبى »
فحملق فيها كأنها شىء مفزع . وقرأ فيها مايلى :

« اننى فى طريق العودة . احبك . لويز سكوبى »

وجلس في اقرب مقعد وقال لنفسه بصوت مسموع « يجب أن افكر فيما ينبغي ان افعل » . وراح يفكر ، لو اننى فقط لم اكتب تلك الرسالة لهيلين ؟ لو اننى لم اعد اليها حسب رغبتها ؟ اذن لا يمكن ان ابدا الحياة مع لويز ببساطة ويسر . ولكنه يتذكر الكلمات الاخيرة التى قالها لهيلين عن استعداده للبقاء بجانبها طالما كان على قيد الحياة . ان هذا وعد مقدس قطعه على نفسه ، فماذا يفعل ؟ ان الرياح تهب من ناحية البحر ، الامطار لا تزال تنهمر ، ومصاريع النافذة فى غرفة النوم تصطفق بعد ان تخلصت من مشاكيها .. واحس كأنه فى عالم غريب ، وعاد يفكر : ماذا فى وسعى ان أقدم لهما ؟ لهيلين ولويز ؟ لماذا انا بالذات ؟ ان العالم ملئ بالشبان والرجال الأصفر سنا الذين يمكنهم ان يكونوا اقوى حبا واقدر على توفير الاستقرار لمن يحبون .

وحاول أن يبتهل الى الله ، ولكن الابتهاال ظل راكدا على لسانه كأنه جثة هامدة . انه لا يطلب من الله ان يرزقه مالا .. وانما يطلب شيئا اضمن من المال .. انه يطلب السعادة للاخرين . والسكينة والسلام لنفسه « اننى لا اريد ان ادبر امرى أو أمر احد بعد اليوم . انهم لن يحتاجوا الى اذا مت ، لأن الحى لا يحتاج الى الميت فى شىء ، والميت ينسى عادة . اوه .. يا الهى .. هبنى الموت قبل ان اعجز عن وهب السعادة لمن أحب »

ولكن .. لا .. يجب ان يهدأ او لا يترك اعصابه تنهار . لقد قال له القسيس يوما ان تمنى الموت خطيئة لا تفتقر . ولكن .. من يدرى الى أى مدى يمكن ان تشمل رحمة الله البشر !

ووضع الكأس من يده ، وقرر ان يتمالك اعصابه . ان سعادة شخصين مرهونة به الآن . وان عليه ان يبحث فى هدوء عن مخرج من هذا الموقف العصيب . وتناول دفتر يومياته وبدأ يكتب كما اعتاد ان يفعل كل ليلة .

الاربعاء ، ٦ سبتمبر : العشاء مع الحاكم . حديث مرضى عن و . زيارة لهيلين قصيرة الامد . برقية من لويز تعلن انها فى طريقها الى .

« الفصل التاسع »

« الثمن .. مرة أخرى »

ظلت كلمات البرقية تعصف برأس سكوبي أثناء عمله ، واثناء الحفلة التي أقامها أعضاء النادي بمناسبة ورود كمية من لحم الضأن من الأرجنتين ، واثناء حيرته وهو يرى هيلين تنظر إليه ظيلة الحفلة وكأنها تريد أن تقول له شيئاً هاماً ولكنها لا تعرف كيف تنفرد به .

ولما عاد في منتصف الليل الى بيته ، وجد تابعه (على) في انتظاره على غير المعتاد ، وكان جالسا على درجات السلم الامامى يغالبا النوم . ولما فتح عينيه ورأى الميجور سكوبي ، قال له وهو يخرج من صدره رسالة في مظروف :

— هذه من السيدة ...

— ولماذا لم تتركها على منضدة الكتابة !
— لأن السيد يوسف في انتظارك بغرفة الجلوس .
وكان يوسف مسترخيا على الاربكة ، ممددا ساقيه على مقعد امامه ، يتنفس بانتظام يدل على انه نائم .
وقال على :

— حاولت أن أصرفه ، ولكنه أصر على البقاء .
— حسنا .. اذهب أنت الى فراشك .
وشعر سكوبي أن يدا مجهولة توشك أن تطبق عليه وتخنق أنفاسه في صدره . والا فماذا يدعو يوسف الى زيارته هكذا في بيته ؟ ! انها اول مرة يجرو فيها على مثل هذه الزيارة ! فما معنى هذا ؟

وتسلل في حذر حتى لا يوقظ النائمة ، وجلس بجوار المصباح وراح يقرأ الرسالة التي تركتها له هيلين :

« يا عزيزي .. ان الامر خطير . ولم استطع أن أخبرك به في الحفلة . ولهذا كتبت اليك هذه الرسالة . ولا شك أن « عليا »

مؤمن على اسرارك . فعندما سمعت أن زوجتك فى طريقها الى هنا . . .

وهنا فتح يوسف عينيه وقال وهو يعتدل فى جلسته ؛
- معذرة يا ميجور سكوبى على تطفلى .
- هل تريد كأس شراب ، بيرة ، اوجن . . ليس لدى ويسكى
الآن .

فقال يوسف بسرعة آلية :
- هل أرسل اليك صندوق ؟
ثم راجع نفسه وضحك قائلاً :
- اننى انسى دائماً انك لاتقبل منى آية هدية .
وقال سكوبى وعيناه على بقية الرسالة :
- ماذا تريد يا يوسف ؟

« عندما سمعت أن زوجتك فى طريقها الى هنا شعرت بالتعب الشديد وبالمرارة . . ولكن هذه حماقة منى . فانك كاثوليكي المذهب . ولا حيلة لك فى الامر ، وحتى اذا لم تكن ، فلعلك تكره أن تغير مجرى حياتك . . . »
وقال له يوسف :

- اقرا رسالتك اولا . . ان فى مقدورى ان انتظر .
- الامر ليس هاماً . . اخبرنى ماذا تريد يا يوسف .
وعاد يقرأ « وهذا مادفعنى الى الكتابة . لقد وعدتني أمس بالبقاء بجانبى طول حياتك . . وانا لا اريد ان أستغل وعودك لى . . اننى أحلك منها كلها » . .

- ميجور سكوبى . عندما اقضتكم المال ، اقسمت لك اننى فعلت هذا بدافع الصداقة التى احسها نحوك . اننى لم اكن انوى أن اطلب منك شيئاً ، حتى الفائدة . ولكنك أصرت على دفعها . .
- حسناً يا يوسف . . اننا اتفقنا ولا داعى لنتقض الاتفاق .

« . . اما وعودك الحقيقية فيجب أن تكون لزوجتك . ارجوك أن تذكر دائماً اننى لا اريد منك شيئاً . . زرنى اذا شئت ، وامتنع عن زيارتى اذا شئت ، لأن حبى لك بلغ الحد الذى أصبحت فيه راضية بكل ما يرضيك »

وقال يوسف؛

- ميچور سكوبى . لقد جئت الليلة لاطلب منك ان تقوم
بخدمة لى . ولست اطلبها مقابل القرض .. وانما .. وانما مقابل
شئ آخر ..

- ماذا تريد يا يوسف .

- ان الباخرة اسبرانكا سوف ترسو بعد غد فى الميناء . واريد
ان تسلم لربانها الهولندى كيسا صغيرا .

- وماذا فى الكيس؟

- لا داعى لان تسأل يا ميچور سكوبى . يكفى ان تثق ان
ما فى هذا الكيس لن يضر احدا على الاطلاق .

- انت تعرف يا يوسف اننى لا استطيع ان افعل شيئا من
هذا القبيل .

فانحنى يوسف نحوه وقال وهو يضع يده على صدره كأنه
يقسم :

- أوكد لك يا ميچور سكوبى ان ما فى الكيس لن يفع فى ايدى
الالمان . وليس فيه ماس صناعى .
- ماس طبيعى اذن !!

- يكفى انه لن يذهب الى الالمان ، ولن يضر بقية الحلفاء .
- وهل تعتقد يا يوسف اننى اقبل ان أقوم بخدمة كهذه .
مهما يكن الثمن !

- اننى لا اعرض عليك ثمنا ، ولا رشوة .. انما هى الصداقة
الخالصة . ارجوك ان تقبل . وستعرف بعد ذلك اننى من اخلص
الناس لك .

- اننى لا اقبل .. ولا اريد صداقة تقوم على اساس كهذا .
- هل تعرف الخادم الذى يعمل عند السيدة هيلين رولت ؟
- ما شأنه ؟ !

- انه ابن عم خادمى الخاص . وقد احضر لى رسالة عشر عليها
تحت حصر كوخ السيدة هيلين .. اوه .. ما الذى جعلك تكتب
رسالة كهذه يا ميچور سكوبى ..

فقال سكوبي في ألم نفسي مريو ؟
 - لان الأقدار شاءت ان تضعني بين يديك ! والان .. ماذا
 تروى ان تفعل بالرسالة يا يوسف ؟
 - ان زوجتك في طريقها الى هنا كما نعرف جميعا . فهل
 تجيب ان اسلمها الرسالة بمجرد وصولها !
 وقال سكوبي في استسلام :
 - واذا سلمت الكيس لربان الباخرة اسبرانكا ؟
 - سيكون خادمي في انتظارك على رصيف الميناء ، وسوقه
 يرد اليك الرسالة عندما تسلمه الايصال الذي سيعطيه لك الربان ،
 - وهل تثق في خادمك ؟
 - كما تثق انت في علي .
 - ومن يضمن لي أنك سترد الرسالة الى بعد ان احقق لك
 ما تريد !

وابتسم يوسف قائلا ؟
 - صداقتي لك .
 - حسنا .. اتفقنا !
 ولما انصرف يوسف تاركا الكيس في عهدة سكوبي ، قال هذا
 لنفسه بمرارة :
 - ما افدح الثمن الذي ادفعه دائما لاسعاد لويز !

طرق سكوبي بيد مترددة على باب مقصورة لويز بالباخرة
 وهو يتمنى ان يجد معها بعض السيدات ، حتى لا يلقاها على
 انفراد بعد غيابها . ولكن لويز كانت بمفردها حين فتحت له
 الباب ، والقت بنفسها بين ذراعيه وأخذت تقبله بحرارة وهي
 تقول :

- أوه .. هنرى .. ها أنا عدت اليك .
 وراح يفتش في ذهنه عن العبارات التي كان يحفظها ليقولها !
 - أجل يا عزيزتي .. لقد عدت أخيرا .
 - ان زميلاتي في المقصورة خرجن منها لكي القاع على انفراد بهن

– هل كانت رحلة طيبة ؟

– اعتقد ان احدى الفواصات حاولت ان تطاردنا .
وقال لنفسه « الآن سأبدأ الكذب » ثم رد بصوت مسموع ؛
– كنت لهذا السبب شديد القلق عليك . ولشد ما كانت
اشواقى اليك !
– كنت حمقاء حين اردت القيام بهذه الرحلة .. هلم بعد
الى البيت بسرعة .

ووقف سكوبى فى نافذة غرفة النوم ريثما تفرغ لويز من
الاشراف على نقل امتعتها الى البيت . وراح يتطلع الى منطقة
الاستراحات الحكومية .. الى كوخ هيلين .. وبدا له ان المسافة
بينه وبينها قد اتسعت الى مالا نهاية ، وان شعوره بالالام للفراق
قد زال ، وان الامر لم يكن الا نزوة دفعه اليها احساسه بالشباب
الذاهب . وراح يتساءل : هل كنت اكذب عليها حين كتبت لها تلك
الرسالة التى كلفتنى غالبا من اجل استردادها ؟ هل انا حقا كنت
احبها اكثر من حبنى للويز هيل انا ، فى اعمق قلبى احب
الاثنين ، ام انى ، بطبيعتى ، اسبغ عطفى على كل محتاج الى
العطف !

وقطعت لويز عليه افكاره حين اقبلت قائلة :

– لقد فرغت الآن ، اتعرف انى احضرت معى عددا كبيرا جدا
من الكتب . !

– ولكنك لم تخبرينى عن السبب الذى جعلك ...
– ارجوك الا تسخر منى اذا قلت لك يا حبيبى .. لقد تبينت
فجأة اننى كنت حمقاء بسبب غضبى وسخطى لانهم تخطوك فى
الترقية ..

وطوقته بذراعها وقبلته قائلة :

– هل انت سعيد بعودتى ؟

– جدا ..

– هل تعرف ان من اسباب قلقي عليك خوفا من ان تكون
مهملًا فى أداء واجباتك الدينية كأي كاثوليكي متدين !

- أخشى ان اكون كذلك .

- هل كنت مهملا في حضور القداس كل يوم احد .

- الواقع اننى لم اذهب قط الى الكنيسة منذ رحيلك .
فتراجعت عنه قليلا وقالت بلهجة جادة :

- اوه .. تيكى .. ارجو ان ترضينى وتذهب معى غدا
صباحا للطهارة .. يجب ان تنظهر اولاً قبل ان نبدأ حياتنا الزوجية
مرة اخرى .

ولم يسع سكوبى الا ان يقول :

- حسنا يا حبيبتى .. لك ماتريدين .

- ولكن عليك ان تذهب للاعتراف اولاً بعد ظهر اليوم .

- اننى لم أفعل شيئاً رهيباً يستحق الاعتراف .

- يكفى انك لم تذهب الى القداس كل يوم احد .. وهسهسه
وحدها خطيئة كبيرة .. مثل خطيئة الزنا -

- حسنا .. لسوف اذهب للاعتراف بعد الغداء .. لانى
لا استطيع ان اعترف . بمعدة خاوية .

- اوه .. ماذا بك يا عزيزتى .. لقد تغيرت كثيرا .

- كنت امزح معك فقط .

- انك لم تكن من قبل مرحا على هذا النحو ..

وكاد ان يقول لها :

« لان اليائس تماما لا يسعه الا ان يكون مرحا ! . »

وبعد ان فزع من الغداء « الذى لم يعرف له مذاقا ولا نوعا »

قال :

- يجب ان امضى الان .

- الى الاب رانك ؟

- لا .. سأذهب اولاً لزيارة ويلسون . انه يقيم الآن فى كوخ

بمنطقة الاستراحات الحكومية مع هاريس .

- الا يكون الآن فى المدينة . ؟

- اعتقد انه عاد ليتناول غداءه .

وقال لنفسه وهو يمضى الى كوخ هيلين :

« كم مرة فى المستقبل سوف اضطر الى اتخاذ ويلسون حثورا لزيارتى لكوخ هيلين ؟ ولكن لا . . ان هذا الادعاء لن يصلح الا مرة واحدة ، لانه يتناول طعام غذائه عادة فى المدينة »
وظرق على باب كوخ ويلسون ، وفتح هاريس قائلا . .

– تفضل بالدخول يا ميچور سكوبى . اننى اعانى من الحمى .
– هل ويلسون موجود ؟
– لا . . يتناول غذائه فى المدينة .
– حسنا . . كنت اريد ان اقول له ان لويز عادت ومعها كتية كثيرة . ولاتنس ان تاتى معه لزيارتنا .
فابتسم هاريس وقال :

– انت تعرف يا ميچور سكوبى اننى لا ازور احدا فى منزله ؟
لاننى لم اعود هذا . . ولكننى سأحاول اذا شفيت من هذه الحمى فى الوقت المناسب .»

ومضى سكوبى فى طريقه الى كوخ هيلين وهو مطمئن الى انه قد نجح فى المناورة ، فان هاريس سيقول لويلسون انه جاء لزيارته ولم يجده ، وسيقول ويلسون هذا للويز اذا سألته .

وقالت هيلين له وهى راقدة فى فراشها :

– لماذا طرقت على الباب قبل ان تدخل ؟
– أخشى ان يكون هاريس يراقبنى من النافذة .
– لم اكن اتوقع ان تاتى اليوم .
– كيف عرفت ان لويز وصلت اليوم ؟

– ان كل انسان هنا يعرف كل شىء – الا شيئا واحدا . وهو علاقتنا هذه فما ابرعك ؟ لعل نجاحك فى اخفاء هذه العلاقة يرجع الى انك شرطى كبير .

وجلس على حافة الفراش . واخذ يدها بين يديه وقال :

– لماذا ترقدين ؟
– مجرد صداع بسيط .
اقال بذهن شاردا :

- يحسن أن تهتمى بصحتك .
- ان هناك ما يقلقك يا سكوبى .. هل حدث شيء ؟ !
- لا شيء مما تظنين .
- يا حبيبى المسكين ؟ اتذكر الليلة التى امضيتها هنا ؟ كنا مسعدين تماما بلا قلق أو خوف .. أليس كذلك ؟
- نعم .
- اذن لماذا ترغمننا الحياة على ان نرتد دائما الى التعاسة ؟
- لاننا نخطيء ونمزج آراءنا عن السعادة بالحب ..
- ولما استغرق فى أفكاره ، قالت :
- فيم تفكر يا حبيبى ؟
- فى شيء بشرى قلقي لم اكن قد اتخذت فيه رأيا .
- وما هو ؟ !
- ان لويز تريد منى ان اذهب معها للطهارة غدا فى الكنيسة ؟
- وانا الآن فى طريقى الى الاعتراف .
- فتنهدت بارتياح وقالت :
- اهذا كل شيء ؟ !
- ونظر اليها مدهوشا من جهلها بخطورة الامر ، وقال ؟
- اذا لم اذهب الى الطهارة غدا فسوف تعرف لويز ان .. ان هناك شيئا خطيرا فى حياتى .
- فأرسلت ضحكة قصيرة وقالت :
- ولماذا لا تذهب ؟ !
- فعاد ينظر اليها بدهشة بالغة وقال ؟
- اذا ذهبت بدون اعتراف فسوف ارتكب خطيئة لا غفران لها فى الدنيا أو الآخرة .. انها خطيئة المخلوق الذى يريد ان ينخدع الخالق .
- وهل انت تؤمن حقا بعذاب الجحيم ؟ !

– اننى اومن اشد الايمان بوجود عذاب فى الآخرة من اى
نوع .

فابتسمت فى تهكم وقالت :

– اذا كنت تؤمن بهذا حقا ، فلماذا انت هنا الان ؟

وتذكر عندئذ انه كان دائما يفكر ان الانسان الضعيف الايمان
يكون فى العادة ابعد نظرا او اقدر على الجدل من المستغرق فى ايمانه
.. وقال لها :

– انك على حق فى هذا ..

ولكن سكان القرى على سفوح جبل فيزوف يعيشون وهم
يعلمون ان البركان قد يثور فى اى يوم ويرسل عليهم العذاب حمما
ونارا ..
وهو .. ؟

انه رغم كل تعاليم الكنيسة يخشى ان الحب ، اى نوع من
الحب ، يستحق الرحمة – اى نوع من الرحمة ، ان المحب سيدفع
الثمن .. نعم ، وسيدفعه غالبا .. ولكن ليس الى مالا نهاية ..
ومن يدري .. فربما اتيح له ان يحب الفرصة للاستغفار ..
ولما اخبرها برايه قالت :

– وهل يفيد الندم فى ساعة الاحتضار ؟
فقال وهو يقبل راحة يدها :

– لن يكون من السهل على ان أندم على حبى هذا ، ان فى مقدور
الانسان ان يندم على الاكاذيب ، او التعاسة التى يسببها
للغير ، او على اية خطيئة .. ولكننى لا ارى كيف استطيع ان أندم
على الحب !!

فقال بنفس لهجة التهكم والاحتقار التى بدت كأنها تجذبه
عنها بعيدا الى شاطئء الامان :

– حسنا .. وماذا يمنعك ان تذهب وتعترف للكاهن الان . ان
الاعتراف لن يحول بينك وبين مواصلة هذا اللون من الحب طبعاً ،
– لا قيمة للاعتراف اذا لم يكن المعترف ناويا بجد ان يتوب عن
ذنوبه التى جاء ليعترف بها .

وهنا قالت بلهجة المنتصر فى معركة :

– حسنا جدا .. مادمت قد ارتكبت خطيئة لاغفران لها ، فماذا
يضيرك ان تضيف اليها خطايا اخرى ؟!
وقال لنفسه :

ان الاتقياء سيقولون ان الشيطان هو الذى يتكلم الان على
لسان هيلين ، اما انا ، فاعتقد ان الذى يتكلم هو الانسان البسيط
الذى لاخبرة له ، ولا تجربة .
وقال لها :

– هناك فارق كبير ، ولست قادرا على التفسير . اننى اضع
بحي لك الان فوق .. فوق شعورى بالامان . اما الذهاب الى
الطهارة بلا اعتراف حقيقى فشيء آخر .. شئ خطير .. انه يشبه
الذى يسرق مال الكنيسة ليسكر بها .. ان الانسان الذى يفعل
هذا .. كالذى يأكل الخبز المقدس وهو غير مطهر كأنما يخذل
المسيح فى ساعة محنته !
فأشاحت بوجهها وقالت :

– اننى لا أفهم شيئا مما تقول . ان كل ما قلته الان لفر ..
– لشد ما أتمنى أن يكون كذلك . . ولكننى شديد الايمان
به ..
وهنا قالت بحدة :

– اعتقد انك مؤمن حقا بما تقول . ولكن اين ايمانك هذا عندما
بدانا الحب ؟ ام لعلك تريد ان تتشبث الان بتلايب الورع والتقوى
ولتتخلص منى ..

فقال لها وهو يرفع يدها الى فمه :
– اننى لن احاول ان اتخلص منك ابدا . ولكنى افكر فقط فى
الخروج من المازق . اطمئنى ..

ونهضت جالسة ونظرت اليه طويلا ، ثم قالت :
– وماذا تنوى ان تفعل ؟
وهز كتفيه قائلا :
– ليس امامى الان الا ان ارجى ارتكاب هذه الخطيئة الرهيبة
الى آخر فرصة ممكنة ..

- وكيف؟ ..
- فطوقها بذراعه وقال
- سأدعى الاصابة بمرض مفاجيء غدا صباحا ..
- وفي الاسبوع التالي؟!
- فابتسم وقال :
- من يدري ماذا سيحدث في الاسبوع التالي ..

« الفصل العاشر »

« موقف غرامى ! .. »

أعاد ويلسون قراءة القصيدة الفرامية اثنى نظمها وأهداها الى « ل.س » اى «لويز سكوبى» ونشرها فى مجلة اقليمية بانجلترا . وكان مطلعها كما يلي :

« روميو جديد على ساحل بعيد
يرفع كأس الحب .. والموت الى شفتين ..
مارك انطونيو آخر على شاطئ مظلل بالنخيل
يرقب غرامه وهو يغيب ..

وحمل المجلة وسار فى طريقه الى بيت سكوبى ، وكان قبل ذلك بنصف ساعة قد رآه من بعيد يغادر البيت فى سيارته . ودخل غرفة الجلوس بعد ان فتح له الخادم الباب ، وراح ، بأنفاس لاهثة يستعيد فى ذهنه ماسوف يقوله للويز حين تهبط لاستقباله ، سيقول لها بعد ان يقبل شفتيها ببساطة :

« لقد افتقدتك كثيرا ، وكانت الحياة هنا بدونك لا معنى لها » ..

واخذ قلبه يدق فى صدره كالمطرقة حين سمع صوتها تقول وهى مقبلة عليه :

- أخيرا جئت يا ويلسون .
ومدت يدها - فقط - لتصافحه ، ولم يسهه الا ان يصافحها وكأنه تصافح هزيمته الاولى!
وقالت له :

- اشرب كأساً؟
- الانتمشى قليلا في التلال؟!
- ان الجو شديد الحرارة الآن يا ويلسون!
- اننى لم اذهب الى هناك .. منذ ..
- الى اين؟!
- وادرك ويلسون ان الوقت لايقف ابدا امام الذين لايجوبون!
وغص بريقه وقال:
- الى .. الى غرفة ناظر المحطة المهجورة!
فقالت في غير اهتمام:
- اوه .. نعم .. نعم .. اننى ايضا لم اذهب الى هناك مرة
أخرى .
- في تلك الليلة ، بعد ان عدت الى قمرتى . حاولت ان انظم
شعرا ..
- ماذا ؟ أنت يا ويلسون؟!
واضطرم وجهه بحمرة قانية وقال:
- نعم .. أنا .. ويلسون؟ .. لماذا لا ؟ .. وقد نشرت ايضا .
- اننى لم أقصد السخرية يا ويلسون ، وانما دهشت فقط
.. في اية مجلة ؟
- في مجلة جديدة اسمها «سيركل» .. هاهى ..
وقدم لها المجلة مفتوحة على القصيدة ، وراح يرقبها - بانفاس
مكتومة - وهى تقرأها .. وقالت هى في النهاية بصوت عادى .
- قصيدة جميلة .
- هل عرفت الى من اهديتها؟!
- هذه اول مرة يهدينى فيها شاعر احدى قصائده ..
واحس ويلسون بالاعباء يتمشى في جسمه ، وتهالك جالسا وهو
يحاول ان يتمالك نفسه : وقال لنفسه : لماذا ينطوى الحب على
الاذلال ؟ ولماذا عرف الناس الحب !! لماذا لايسموننه باسمه الطبيعى ،
وهو الشهوة .. شهوة الرجل نحو المرأة ، والعكس صحيح !
وقال لها فجأة بحرارة :

- أنتى احبك بالوزير ..
- وتوقع ان يسمعها تضحك عاليا ، ولكنها قالت بهدوء :
- لا .. لا ياويلسون .. انك لاتحبنى حقا ، وانما هى حرارة
الجو فى هذه المنطقة .
- واستطرد يقول كأنما لم يسمع شيئا :
- أكثر من أى شيء آخر فى الدنيا .
- فقالت برفق :
- لا احد فى الدنيا يحب هكذا .
- وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابا فى اضطراب نفسى شديد ؟
- وقال :
- كان ينبغى أن تؤمنى بالحب ، انك كاثوليكية . اليس الله هو
الحب ؟ الا يحب الله العالم كله .
- فقالت :
- نعم طبعا .. ان الله قادر على هذا .. ولكن ليس المخلوق !
- انك تحبين زوجك .. هكذا قلت لى .. وهذا ما جعلك
تمودين بسرعة .
- فقالت بحزن :
- اعتقد هذا . ولا حيلة لى فيه . ولكنه ليس المحب الذى
تعتقد انك تشعر به . ليس فيه كأس مسمومة ، ولا عذاب ابدى .
- اننا لانموت فى سبيل الحب ياويلسون ، الا فى الروايات او المسرحيات
.. فلا داعى لهذا اللون من الحب ، لانه لايتفق مع سنى .
- فقال بحدة :
- ان حبنى ليس خياليا كالروايات ، ولا تمثيلا كالمسرحيات
ثم وقف امام خزانة كتبها وقال مردفا :
- هل كل ماكتب هنا من الخيال فقط ؟
- لا اظن .. وهذا ما يجعلنى احبك اكثر من قصيدتك .
- وقال وقد اشرق وجهه بفكرة ماكرة :
- المهم انك عدت بسرعة .. فهل اعادك الحب ام .. الفيرة ؟
- الفيرة ؟! اية غيرة تعنى ؟
- من صاحبك تيكى وهيلين رولت .

وهنا وجهت اليه بقوة صفة أخطأت بها خده وأصابت أنفه
الذى بدا في الحال ينزف دما . وقالت :

— هذا من أجل قولك عنه « تيكى » . لا أحد يقول له هذا
غبرى . انه يكره هذا الاسم .. وانت تعرف هذا . خذ منديلى اذا
لم يكن معك منديل .

— ان أنفى ينزف بسرعة .. أتسمحين لى بالاستلقاء على
ظهري ؟

ورقد بين المنضدة وخزانة الطعام — حيث النمل المتكاثر حولها
— وقال لنفسه :

«أولا سكوبى حين رأى دموعى فى الفندق .. ثم هذا ثانيا
وقالت له لويز :

— الا تريد ان اضع لك مفتاحا فى ظهرك لوقف النزيف !

— لا لا .. شكرا ..

ولوثت دماء أنفه سطور قصيدة الحب بعد أن سألت على صفحة
المجلة ..

وقالت هى :

— اننى آسفة حقا ! الواقع اننى حادة المزاج . ولعل هذا
يشفيك من الحب يا ويلسون .

ولكن .. اذا كان الحب شيئا لاغنى عنه لحياة الانسان .
ككيف يشفى منه ! وحتى الذى لايجب الحب ، فعليه أن يتظاهرو
به كيلا يكون مثل الملحد الذى يعيش — بسبب حرمانه من الايمان
بشئ — فى عالم هائل من الفراغ . ومن ثم قال بعناء :

— لاشئ يمكن ان يشفينى من حبك يا لويز .. اننى احبك — ولا
يمكن —

وراح يضع المنديل على أنفه ليوقف النزيف . وقالت هى :

— ما اعجب هذا لو كان صدقا؟! —

ولما غمغم بتساؤل غامض من وراء المنديل . . .

أردفت هي قائلة:

— اعنى لو كنت تحبني حقا! كنت أظن أن هنرى هو المحب
الحقيقى . . . ولسوف يكون عجيبا جدا لو ظهر لى أن المحب
الحقيقى هو أنت .

وقال لها وهو يرفع المنديل:

— اعتقد أن هنرى يحب على طريقته الخاصة .

— من؟! أنا أم هينين التى تحدثت عنها، أم نفسه!

— ما كان ينبغي أن أقول لك شيئا عن ذلك .

— لنكن صادقين يا ويلسون! أنك لاتعلم مدى شعورى بالملل من
كثرة الكذب الذى يواجهه الانسان فى حياته . . هل هى جميلة!

— نعم .

— وشاية أيضا، بينما أنا فى منتصف العمر .

— ولكنها ليست كاثوليكية .

— هذا من حسن حظها . . انها بلا قيود . . انها متحررة
يا ويلسون .

وجلس ويلسون وأسند ظهره الى احدى قوائم المتضدة وقال:

— أتمنى على الله ألا تنادبنى باسم ويلسون؟

— هل تحب أن أناديك باسم ادوارد . . ايدى . . او تيدى؟! —

فقال وهو يرقد على ظهره مرة اخرى:

— لقد عاد التزيف مرة اخرى .

— ماذا تعرف عن الموضوع الذى ذكرته الآن يا تيدى .

– افضل! ان تسمينى باسم ادوارد بالويز . لقد رايتہ يخرج
لآت ليلة من كوخها في الثانية بعد منتصف الليل . وكان معها امس
بعد الظهر .

– بل كان يعترف في الكنيسة .

– لقد رآه هاريس بنفسه .

– هل حقا تضعه تحت مزاقبتك ؟

– ان يوسف يسيطر عليه لسبب ما .

– هذا مستحيل . . يبدو انك تماريتك في ظنونك .

وكانت واقفة امامه وكأنه جثة ملقاة على الارض . ولم يسمعا
صرير الباب عندما دخل سكوي . وهكذا فوجيء كل منهما يسمعا
صوته وهو يقول :

– ما هذا . . ماذا حدث ؟!

وقالت لويز مرتبكة :

– لقد . . لقد أصيب أنفه .

ونفض ويلسون متعثرا وهو يقول :

– ان أنفى سريع التزيف في هذا الجو الحار . . أرجو المعذرة
. . يجب أن أنصرف الآن بسرعة . . سأعود للزيارة مرة أخرى .

ثم انطلق خارجا في طريقه الى كوخه . وهناك تبين ان ذبل
قميصه كان خارجا من البنطلون وراء ظهره . . ومن ثم راح يتخيل
وهو ممتلىء بالغيظ والمرارة ، كيف كان منظره يبدو وهما يرقبان
أنصرافه !

* * *

وقال سكوي للويز :

– ماذا كان يريد ؟!

- كان يطارحنى الحب!
- وهل يحبك حقا؟!
- يعتقد هذا! اليس لديك ما تسأل عنه غير هذا فقط؟
- يبدو أنك ضربتيه بعنف على أنفه!
- لقد أغضبني حين قال عنك «تيكى» .. انه يتجسس عليك يا حبيبي .
- أعرف هذا .
- انه قد يكون خطرا عليك .
- ربما .. في بعض الظروف .. وعندئذ اكون انا المسئول عما يحدث لى .
- هنرك! الا يستبد بك الغضب لسبب ما؟ الا بغضبك ان تعلم انه اراد ان يطارحنى الغرام؟
- اكون كاذبا لو قلت ان هذا يفضبنى . لان هذه طبيعه البشر .. وكل انسان رفيق القلق لابد له ان يحب .
- وهل عرفت الحب يوما ياهنرى؟
- فقال وهو يراقبها بحذر:
- اوه .. طبعاً .. طبعاً .
- هنرى .. هل حقا كنت تشعر بمفص مفاجيء هذا الصباح؟! ..
- طبعاً .. طبعاً .
- ألم تحاول ان تتخلص من الذهاب الى الكنيسة باصطناع المرض! ..
- لا ..
- اذن هلم يا حبيبي نذهب للطهارة غدا صباحا ..

ولم يسعه الا ان يستسلم للأمر الواقع ويقول متظاهرا بأن
المسألة لاتهمه كثيرا:

— اذا شئت .. مارايك في كأس الآن .

— لا .. لايزال الوقت مبكرا على الشرب ياعزيزي .

وكان يعلم في قرارة نفسه انها تراقبه بامعان وحذر . ومن ثم
راى ان يهرب منها في تلك اللحظة قبل ان تسأله هل اعترف بعد
ظهر اليوم السابق ام لا . وقال وهو يضع الكأس من يده على
المنضدة:

— لقد نسيت شيئا في مكتبي ياعزيزتى .. لسوف اذهب واقوم
به ، تم اعود في خلال ساعة .. طاب مساؤك الآن .

« الفصل الحادى عشر »

« القرار الأخير .. »

ولم يذهب سكوبى الى مكتبه بمبنى المحافظة ، وانما انطلق
بسيارته في الطريق الى الكنيسة ، وكال يقول لنفسه:

— اوه .. يااللهى .. ان الانسان يضطر أحيانا الى اتخاذ
قرارات حاسمة قبل ان يجد الوقت المتسع للتفكير . والتفكير فى
خروج من مأذق كهذا يحتاج الى عقلية حسابية وحلول مكتوبة ،
تماما كالعالم الرياضى الذى يريد ان يصل الى نتيجة معينة بعمليات
حسابية معقدة . ولكننا معشر الكاثوليكين محكوم علينا بالعذاب
الابدى ، لاننا نعرف حقيقة موقفنا من الخير والشر .. ومع ذلك
لايسعنا الا ان نركع أمام القسيس للاعتراف ونقول « منذ اعترافى
السابق ارتكبت خطيئة الخنا كذا وكذا من الموت .. » ونسمع
القسيس يقول لنا:

« عليك ان تتوب والا ترى تلك المرأة التى ترتكب معها هذه
الخطيئة .. »

أى لا أرى هيلين .. لا أبقى معها داخل الكوخ باجستر
يعوى باللهفة الجنسية خارج الباب .. وأوافق القسيس ، وأمه
بالأراها مرة أخرى ، وأنا واثق تماما بأنى صادق فى هذا الوعد ..
وأذهب غدا الى الكنيسة ، وأتناول الخبز المقدس فى فمى من يلك
القسيس ، فيما يسمونه ، المناولة والطهارة الأبدية ، وبهذا أتخلى
نهائيا عن هيلين لكى تلقى بجسمها بين ذراعى باجستر ، أو أى شخص
آخر .. أى بين ذراعى اليأس . وعلى أن أكون منطقيا مع نفسى %
وأقول أن اليأس لا يدوم ؟ فهل هذا صحيح ؟ « كما لا يدوم الحب ؟
« فهل هذا صحيح أيضا ؟؟ » وأنها بعد بضعة أسابيع أو شهور ..
ستعود الى حالتها الطبيعية .. الى الحياة من جديد ! لقد
استطاعت أن تعود الى الحياة بعد عشرين يوما من اليأس فى زورقا
صغير .. بعد أن فقدت زوجها فى شهر العسل .. فهل تعجز عن
العودة الى الحياة بعد أن يموت الحب !

وتوقف بسيارته امام باب الكنيسة ، وجلس فى مكانه امام عجلة
القيادة ، واستأنف التفكير والحديث مع نفسه .

« ان الموت لا يأتى أبدا عندما يتمناه الانسان ! ولكن ، هل سيحل
الموت المشكلة ؟ وإذا لم يحلها ، فماذا أفعل ؟ هل أترك لويز ، وأنسى
القسم الذى أقسمته فى الكنيسة يوم زواجها بأن أرحاها والا افترق
عنها الا بالموت ؟ هل استقبل من عملى وأرحل مع هيلين الى أى مكان
فى الدنيا الواسعة ؟ أم أتخلى عن هيلين لتلقى بنفسها بين ذراعى
باجستر أو اليأس ! . اننى فى مصيدة لا نجاة منها » .

وغادر السيارة ، ودخل الكنيسة ، وركع بجوار المذبح يبتهل
ويشما يفرغ الأب رانك من تلقى اعترافات السيدة التى امامه ، وأخذ
يطلب من الله أن ينقذه من حيرة قلبه بمعجزة .. أن يضع حدا لهذه
القلوب الثلاثة الحائرة .. قلبه وقلب لويز .. وقلب هيلين .. ربما
أقلب ويلسون أيضا .. فلا شك أنه حائر أيضا اذا كان صادق الحى
للويز . ولماذا لا .. ؟ انه يصفرها بنحو ثمانية أعوام ؟ فهل يستبعد
أن يحبها وقد احبته هو من تصفره بثلاثين عاما ! واختتم ابتهالاته
قائلا :

يا الهى .. اتقذنى بمعجزة ولو ضحيت فى هذآ السبيل بدمى
لكما فعل المسيح ! .. عاقبنى بالموت اذا كان لابد من العقاب ، ولكن
امنح الآخرين شيئآ من السعادة »

ودخل مقصورة الاعتراف وهو يقول لنفسه :

« من يدرى .. فقد تحدث المعجزة ! »

وركع امام الاب وبدأ يقول :

« منذ اعترافى السابق ارتكبت الخنا .. »

ـ كم مرة !!

ـ لا ادرى يا ابنى .. مرات عديدة ،

ـ هل انت متزوج !

ـ نعم ..

وتمنى ان يقول له : « ساعدنى يا ابنى .. اقنعنى بانى ساكون
على صواب اذا تخليت عنها لباجستر او للياس . دعنى او من برحمة
الله ! »

ولكنه ظل راكما ينتظر الاب رانك وهو يقول له :

ـ هل هى امراة واحدة التى ارتكبت معها هذه الخطيئة !

ـ نعم ..

ـ اذن يجب ان تمتنع عن رؤيتها ، فهل هذا ممكن ؟

ـ لا ..

ـ اذا كان لامفر من ان تراها ، فليكن ذلك على غير افراد ..
عائى بهذا .. او على الاصح ، عد الهك !

وقال سكوبى لنفسه :

« ما احقمنى اذ كنت انتظر المعجزة على يدى هذا الاب ! انه يكره »

العبارات التي يقولها لكلّ معترف كالبيفاء ! اليس هذا ما يحدث كل يوم ؟ .. الا يخرج المعترف من مقصورة الاعتراف ليرتكب نفس الخطايا التي جاء ليتطهر منها ؟ فهل كل معترف يؤمن حقا بأنه صادق التوبة ! الا يخدع نفسه وربه بمثل هذه الاعترافات البغائية ؟ ان في مقدورى ان اكون كائى انسان آخر واخدع هذا الاب ، واخدع الرب واقول اننى لن اراها على انفراد ، وفى نيتى ان اراها على انفراد وان استمر فى ممارسة الحب معها .. ولكن لا .. هذا مالا يستطيع ان افعله مهما يكن الثمن »

وقال بصوت مسموع :

– اننى لا أستطيع ان اعد بهذا با أبى .

– يجب ان تعد .. انك لاتستطيع ان ترغب فى النتيجة دون ان ترغب فى الوسيلة .

وقال سكوبى لنفسه :

« ولكن الانسان يستطيع .. يستطيع ان يرغب فى النصر دون ان يرغب فى الوسيلة اليه .. اى فى تدمير المدن وقتل الناس ؟

وعاد الاب رانك يقول :

– لاجابة بى لان اقول لك ان الاعتراف ليس مجرد عملية آلية . ان حصولك على المغفرة يتوقف على مدى استعدادك للتوبة .. ولا جدوى من حضورك وركوعك امامى قبل ان يتوافر لديك هذا الاستعداد . وعليك قبل ان تأتى ، ان تكون مقتنعا بانك ارتكبت خطأ يجب الاعداد اليه .

– اننى اعرف هذا .

– وعليك ان تعرف الهدف الحقيقى من الاعتراف . واذا كان المطلوب من الانسان ان يغفر لاختيه الانسان سبعة وسبعين مرة ، فهل يعجز الله عن ان يغفر للانسان اضعاف اضعاف هذه المرات ؟ ولكن المغفرة لاتكون للمعاندين المصيرين على الخطأ . وانه لافضل

أن يخطيء الإنسان سبعين مرة ويطلب المغفرة سبعين مرة ، على أن يخطيء مرة واحدة دون أن يندم عليها !

وقال سكوبي لنفسه :

« ما أغبانى ؟ ان الأبّ على حق في هذا كله ! فماذا كنت انتظر
قهر هذا ؟ آية معجزة يمكن أن تمنح المغفرة للمصر على الذنوب ؟ »

وبصوت مسموع قال :

— اعتقد يا أبى انى اخطأت في حضورى اليك .

— اننى لا أريد أن احرمك حقك في الحصول على مغفرة الله .
ولكنى أرى أن تنصرف الآن وتفكر في الأمر . . . وعندما تجد في نفسك
الاستعداد للتوبة ، فتعال .

— حسنا يا أبى .

— لسوف اصلى من أجلك .

ولما عاد الى بيته ، قالت له لويزا :

— لقد طال غيبتك .

ووجد نفسه مضطرا الى الكذب ، فقال :

— لقد عاودنى الالم في المكتيب ، فانتظرت حتى يزول .

— أتريد أن تشرب كأسا .

— نعم ، حتى يأمرنى الطيب بأن الشراب يضرنى .

— هل ستعرض نفسك على الطيب .

— طبعا . . طبعا .

وحلم في تلك الليلة انه راكب زورقا يجرى به في نهر تحت
الأرض ، وأنه الشخص الوحيد الذى بقى حيا بين عدد من الركاب
الموتى في الزورق ؟ ولكن لمامه كانت تنزف من مكان ما في جسمه

وأخيراً رفع يده ليعرف هل هو ميت أم حي ؟ وعندئذ استيقظ
ليجد لويز ترفع يده وتقول :

لقد حان موعد ذهابنا الى الكنيسة للمناولة وتناول الخبز
الالهى .

— احقا ؟

تيم اغمض عينيه حتى لا تقرا لويز افكاره . . وقال لنفسه ؛
ما جدوى ارجاء الذهاب الى الكنيسة يوما بعد يوم ؟ اننى لن
استطيع ان اصطنع المرض فى كل صباح ، والا أدركت اننى اخشى
الظهارة . . وهذا يعنى اننى قد خنتها خيانة تجعل حياتى الزوجية
معها باطلة بعد ذلك .

ونفض فجاة وقال :

— نعم . . نعم . . يجب ان نسرع بالذهاب .

وقالت له :

— اذا كنت تشعر بالتعب يا عزيزى ، فابق حيث انتا . . اننى
لا اريد ان ارغمك على الذهاب .

وادرك انها تريد ان توقع به فى المصيدة ! ومن ثم قال :

— لا . . لا . . لسوف اذهب معك . . اننى بخير .

وشعر وهو يدخل معها الكنيسة كأنه غريب يدخل مكانا لأول
مرة فى حياته ، وخيل اليه ان هناك فوارق هائلة تقوم بينه وبين
اولئك الراكمين المنتظرين ان ينالوا المغفرة بسلام .

وكانت كلمات القداس ترن فى اذنيه كأنها حكم مع وقف التنفيذ
I صوف ادخل محراب الله الذى يهب السعادة لشبابى « ولكن . .
أين هى السعادة ؟ ونظر من خلال اصابعه الى صور العذراء
والقديسين ، فخيل اليه انهم يمدون ايديهم بالرحمة الى الجميع
الا هو . . انه كالضعيف المجهول فى حفلة ، لا يعرفه احد ، ولا يقدمه

أحد الى أحد . وبدأ يبتهل « رحماك يارب » ولكن الخوف مما سوف يرتكبه بعد قليل عصر قلبه وأثار برودة الثلج فيه وشل تفكيره . انه أسوأ من أولئك الكهنة الذين يمارسون القداس الاسود على جسد عار لامرأة وبين كؤوس من الشراب النارى . . انهم على الأقل يمارسون طقوسا يؤمنون بها ، وبعواطف لاتعترف الحب للبشر . . انهم صادقون مع انفسهم فى كراهيتهم للسماء ولهذا فهم افضل منه ، لانه يأتى الى الطهارة والمناولة المقدسة للاندم « وبلا رغبة فى التوبة او التراجع عن الخطيئة . . انه يفعل هذا كله من أجل امرأة يحبها . . ولكن هل هو الحب فقط ، أم أنه العطف والاشفاق والشعور بالمسئولية نحو مخلوقة ضعيفة ليس لها أحد غيره ! وحاول مرة أخرى ان يلتمس الاعذار لنفسه .

« ان الله فى غير حاجة الى توبتى . . انه اعظم وأجل شأنًا من أن يفضب على لائى اضحى بكل شىء فى سبيل امرأة تعلقت بى ووضعت نفسها بين يدى »

وجاء دوره أخيرا . . وقدم اليه الاب قطعة الخبز المقدس . . وسرد على مسامحة العبارات التقليدية للطهارة .

« . . . لنجعل ايامنا سلاما حتى نحفظ انفسنا من العذاب الأبدى » وشعر سكوبى كان كلمة « سلاما » ترن فى أذنيه كالطبل . . وقال لنفسه « لن أعرف بعد ماهو السلام . . لقد ارتكبت الخطيئة التى لاغفران لها . . . وهكذا سلمت نفسى للعذاب الأبدى »

* * *

وشعر سكوبى بالآلم العنيف فى الجانب الأيسر من صدره وكأنه قبضة حديدية تمتص الأنفاس وتحاول ان تخنقه . ونظرت لويزا اليه فى جزع وهما خارجان من الكنيسة وقالت :

— ماذا بك يا عزيزى . . .

وكنتم الأمر وقال محاولا ان يبدو طبيعيا :

— ارى أن اذهب الى الدكتور « ترافيز » لعرض نفسى عليه . .

هل تأتين معى ؟

– لا .. سامضى انا الى البيت لان المسز كارتر ستزورنى بعدا
نصف ساعة .

وقال له الدكتور ترافيز بعد ان فحصه بعناية :

– اترك فى حاجة الى الراحة والبعد عن الانفعالات النفسية
ياميجور سكوبى .

وقال له سكوبى وهو يرتدى ملابسه ؟

– هل الامر خطير ؟!

– لا .. ليس الى حد كبير .. ولكنه سيكون خطيرا اذا اجهدت
نفسك ..

– اهو القلب ؟

– تصلب فى الشرايين .

– ولم يشأ الطبيب ان يزجه بعبارة « مبادئ ذبحة صدرية »
واكتفى بهذا التلميح البسيط .

وقال سكوبى وقد مضى فى ذهنه القرار الذى كان يبحث عنه .

– اننى اعانى من الارق يادكتور ترافيز .. فهل يمكن الاستعانة
بالاقراص المنومة ؟ .

– لاباس .. ساكتب لك اقرص اللومينال ، ولا باس من قرص
واحد قبل النوم .

ولم يجد لويىز فى البيت عندما عاد .. واخبره تابعه على انها
ذهبت مع المسز كارتر الى البلاج ، وكتب رسالة قصيرة لها .

« سأحمل بعض الاثانات الخفيفة الى هيلين رولت .. ولن
اتأخر فى العودة »

ثم حملَ في سيارته منضدة ومقعدين ، ومضى الى كوخ هيلين ،
وقال لها بعد أن تبادل معها التحية :

— لقد جئت اليك بمنضدة ومقعدين .. هل خادمك هنا ؟
— لا .. انه في السوق .

وتبادلا قبلة عابرة وكأنهما أخ وأخت .. أو كأنما لهيب الحبيب
قد هدا ..

وقالت له :

— سمعت أنك ستعين حكمدارا في النهاية .. فهل هلا
صحيح ؟

فهز كتفيه وقال :

— هكذا قيل لي .. قيل أن الحكمدار المرشح للمنصب
سيذهب الى الشرق الاوسط في مهمة سرية ، وهكذا لا يبقى امامهم
لحد غيري ..

— لاشك ان هذا سيسر زوجتك !

— ولكن هذا لا يعني شيئا في نظري ..

فقالت بحرارة :

— بل يعني الكثير .. ان على الحكمدار أن يكون فوق الشبهات
مثل زوجة قيصر ، وهذا يعني نهاية علاقتنا .

— انت تعلمين ان علاقتنا لن تكون لها نهاية .

— ولكن لايجوز طبعا ان تكون للحكمدار عشيقة مختلفة في
كوخ !

وغص سكوبي بريقه وقد أدرك انه سيتعرض لتهكمها مرة أخرى
ولكنه تمالك نفسه وقال :

— اذا كان المنصب سيحرمني منك ، فلن اقبله ..

فقالت بصوت فيه نبرة الخداع!

- لا تكن احمق .. ما يجدوى الاستمرار في هذه العلاقة .. ما فائدتها لك ؟

- اكثر مما تظنين .

وتعجبت لاجابته ؟ اهي كذبة اخرى ؟ ألم يعد لهذه الاكاذيب الصغيرة نهاية في هذه الايام !.

- ساعة او ساعتين في اليوم عندما تستطيع ان تتسلل الى في غفلة من الجميع ؟ انك لن تستطيع ان تقضى معى ليلة كاملة بسلام اليوم .. اليس كذلك ؟

فقال في باس :

- لقد وضعت خطة .

- ماهي ؟!

- سأخبرك بها حين تتبين معالمها ..

- ولماذا لاتخبرنى الآن لكى اتفق معك بشاتها!

- اوه .. ارجوك يا حبيبتي .. لاداعى للخصومة .. اننى لى ات لهذا اليوم !

- اننى احيانا اتساءل .. لماذا تاتى ؟

- لقد جئت لاحضر اليك بعض الاناث الخفيفة .

- اوه نسيت .

- ان سيارتى معى .. ما رايتك فى نزهة الى البلاج ؟

- الا تخشى ان يرانا احد ؟

- وماذا لو راونا ؟ ان لويز هناك كما اعتقد .

فقالت بحدة :

ارجوك الا تذكر اسم هذه المرأة امامى ؟ ولا تنسبى انى لا اطيع
بؤيتها .

• حسنا .. لنذهب في رحلة قصيرة الى التلال •

– ان هذا ادعى الى الشعور بالامن .. اليس كذلك ؟
فأمسك بكتفها وقال محتدا :

– قلت لك كثيرا اننى لا أخشى على نفسى من شيء •
– كنت أظن هذا •

– وعاد يقول محتدا :

– ان التضحية ليست كلها من جانبك •

فقال في تهكم الصبيان :

– انك تضحي طبعاً بأوقات من عمالك كلما جئت لتقضى معى
ساعة او نصف ساعة •

– لقد فقدت كل امل .. •

– ماذا تعنى •

– فقدت كل امل في رحمة الله .. وحكمت على نفسى بالعذاب
الابدى •

– أرجوك .. لاداعى لهذا الموقف الخطابى • ان الشيء الوحيد
الذى اكرهه فيك هو كاثوليكيته ! ويبدو انك اكتسبتها من زوجتك
الورعة التقية ! اذا كنت تؤمن حقا بالثواب والعقاب ، ما كنت هنا
الآن •

فقال في حيرة :

– اننى اؤمن ، ومع ذلك فاننا هنا • ولست أجد تعليلا لهذا •
ان عيني مفتوحتان ومع ذلك فقد اخذت من الاب رانك الخبز
المقدس رغم ادراكى بشاعة الخطيئة الابدية التى ارتكبتها •

فقال هيلين في ازدياد :

لقد قلت لى هذا من قبل ، فلا تحاول ان تؤثر فى .. اننى كما
تعلم ، لست كاثوليكية •

فامسك بمعصمها وقال بانفعال شديداً:

- لاتحاولى ان تستهينى بالامر . اقول لك مرة اخرى ، اننى
جلبت على نفسى العذاب الأبدى ، الا اذا نجوت منه بمعجزة . اننى
أعرف تماما ما فعلت . وان ما فعلته اشد فظاعة من ارتكاب جريمة
القتل العمد . . اننى الآن احمل خطيئتي الأبدية على كتفى . . لا
لخلاص لى منها .

ثم القى بمعصمها واردف قائلاً:

- كل هذا لانى احبك .

- تقصد لانك تحب زوجتك . . فقد فعلت هذا لارضائها هى .

وانحسر الغضب من نفسه وقال :

- الحب لكما معا . . فلو كان الأمر مفتصر عليها ، لما حدث
هذا كله .

واخفى وجهه بيديه وقال وهو يشعر بالانفعال يستبد به :

- اننى لا أستطيع ان احتمل رؤية أحد يتعذب . ومع ذلك فانى
انشر العذاب حولى . . لابد لى من الخلاص . . لابد لى من الهرب ،
الى اين ؟!

وتنبه الى نفسه فجأة ، وقال بمكر :

- سأطلب اجازة . اننى اعانى من الأرق ، كما بدأت اشعر
بالام غامضة فى الجانب الأيسر من صدرى :

وعندئذ التقت بنفسها بين ذراعيه ، وقالت فى لهفة :

- لا يا حبيبى . . يجب ان تعرض نفسك على الدكتور تراقينز .

- هذا ما فعلت .

- وماذا قال . .

- لاشئ خطير . . ما رايتك الآن فى نزهة خلوية بالسيارة !

— هلم يا حبيبى .. لقد قسوت عليك أكثر مما ينبغي ..
وبعد أن امضيا ثلاث ساعات في نزهة غرامية ، عاد بها الى
أبوخها ، وقال وهو يودعها :

— الى اللقاء غدا يا حبيبتي ..

— يمكننى أن اتخلى عنك غدا اذا كان هذا بعض الراحة لك ..
فهب رأسه وقال :

— ان راحتى ان أكون بجانبك دائما .. اتذكرين خطابى الذى
اكتبته لك ، وضاع ثم استرددته من يوسف ؟ . لقد حاولت أن أعبر
عن حبى بوضوح تام حتى لاتتهمينى بالخوف أو بالحذر . قلت لك
أقيه اننى أحبك أكثر من زوجتى .. أكثر من أى شىء فى الدنيا .

ولم تجب عليه .. وأتما طوقته بذراعيها ، وغابت معه فى قبلة
طويلة ..

ولما وضع السيارة فى الجراج ، قرر أن يتمشى قليلا فى جولة
تفتيشية قصيرة يعود بعدها الى البيت . وما كاد أن يهبط سفح
التل حتى وجد نفسه وجها لوجه مع ويلسون الذى بدا وجهه
فى ضوء المشعل الكهربائى كالخارطة الجغرافية الصغيرة .

— وقال له سكوبى مدهشا :

— عجبا ! لماذا أنت فى الخارج الى هذه الساعة المتأخرة يا
ويلسون ..!

— هذه رغبتى ..

وقال سكوبى لنفسه . « لشد ما يحقد على هذا المسكين ؟ »

وبصوت مسموع هادىء قال :

— حسنا .. ابتعد عن اطراف حى كرو . ان فيه قطاع الطرق
الذين يتسللون من الغابات ليرتكبوا جرائمهم ثم يختفون ..

— لآلآلآ —

ولما لم يجب ويلسون ؟ ولم يتحرك من مكانه لكى يمضى سكوبى
فى طريقه ، قال هذا :

كيف حال انك ؟ هل انقطع النزيف ؟

- نعم .

- حسنا . . طابت ليلتك الان . . وارجو ان تزورنا قريبا لان

لويز . . .

- اننى احبها ياسكوبى .

- اعتقد هذا ياويلسون . . واعتقد انها تميل اليك من جانبها .

فقال ويلسون باصرار :

- اننى احبها . ويبدو انك لاتعرف معنى هذا .

- مامعناه ؟!

- انك لاتعرف معنى الحب . . انك لاتحب الا نفسك . .

نفسك القذرة .

- انك مرهق الأعصاب ياويلسون . ويبدو ان الجو هنا لم يعد

بلائمك ، يحسن ان تذهب وتستريح . .

ولكن ويلسون ، استمر يقول بلهجة التلميذ العنيد :

- لو انك تحبها ، لما ارتكبت هذه التصرفات المشينة فى حقها .

ولم يفقد سكوبى السيطرة على اعصابه وقال :

- ان الحب ليس بالبساطة التى تتصورها ياويلسون . انه

شئ آخر يختلف عن الشعر الذى تقرأه .

- ماذا تفعل لو انى اخبرتها بكل شئ . . بعلاقتك مع هيلين

بولت ؟

- ولكنك اخبرتها ياويلسون . فماذا حدث ؟ انها صدقتنى انا

- لسوف اقضى على مستقبلك فى يوم ياسكوبى .

فابتسم سكوبى برفق وقال :

- وهل تسعد لويز بهذا ؟

فهمت ويلسون قائلا بصوت متهدج بالانفعال الشديد ؟

- ان فى مقدورى ان اسعدها بطريقتى الخاصة . . بحبى

العميق ، باخلاصى وانفاق مزاجى ألساعرى مع مزاجها . ولكن
هذا لن يتم الا اذا كشفت امرك وقضيت عليك . .
وقال سكوبى دون أن يفقد زمام اعصابه :
- انك ستحاول . . اعرف هذا !
ولم يدر ماذا يقول بعد ذلك . . ولكنه تمتم قائلاً :
- كل ما ارجوه منك أن تكف عن التجسس على ،
- هذه مهمتى ياسكوبى .

- حسنا . . استطيع ان اخبرك ان جميع تقاريرك تلقى فى سلة
الهملات . . ثم تركه واقفا ، متسمرًا فى مكانه ، وسار فى جولته
التفتيشية القصيرة .

حين عاد الى البيت ، وجد لويز فى غرفة النوم العليا ، ومن ثم
جلس فى غرفة الجلوس السفلى ، وفتح مفكرته ، وراح يكتب يومياته
بإيجاز ، وبعبارات قصيرة ، كالبرقيات . ولم ينس أن يسجل
شعوره بالأرق ، وبالالم المفاجئ الذى أحس به ، وبأقوال الطبيب
من حالته .

وجلس بعد ذلك يفكر . . انه يشعر بالوحدة الكاملة . . انه لا
يستطيع أن يخبر أحدا بقراره الأخير . . وان الذين سيشاهدون
نتيجة هذا القرار سيدهشون ، سيهزون رعوسهم فى عجب . .
وسيستريح الجميع - سيستريح باجستر الذى يحسده على هيلين
. . وسيستريح ويلسون الذى يحسده على لويز . . وستستريح
هيلين لأنها ستواجه أمرا لاجيلة لها فيه . . ولويز ! لاشك أنها
ستكون أكثر الجميع راحة ، لأنها سترى فى كل ما حدث قضاء الله
وقدره !.

وافاق من أفكاره على صوت لويز وهى تنادى عليه من فراشها :
- هنرى !

- نعم يا حبيبتى !

- هل أنتصف الليل ؟

- أعتقد انه قارب الانتصاف .

- حسنا . . لانشرب خمرًا بعد أنتصاف الليل . تذكر القدماء !

وجرع كأسه دفعة واحدة وهو يتذكر .. ان الفد هو الأول من شهر نوفمبر .. عيد القديسين .. ولا بد له ان يمتنع عن الشراب قبل ان يبدأ اليوم .. وسيذهب الى القداس غدا .. وستتوالى الأعياد الدينية ، والقداسات ، والوان الحرمان .. وستتوالى من هنا الضربات التى تضاعف احساسه بالخطيئة الأبدية .. وقال مجيبا عليها :

– نعم .. نعم .. اننى آت اليك .

ولما وصل اليها ، قالت له بصوت ينم عن الرضا !

– علمت بأن منصب الحكمدارية سيكون من نصيبك ياتيكي .. اننى سعيدة جدا .. وسوف تحلو الحياة من الآن .. الى .. الى آخر العمر .. اليس كذلك ؟

– بل حتى تنفيذ القرار الاخير ..

– ماذا تقول ياتيكي ؟

– لاشيء ..

« الفصل الثانى عشر »

« الراحة للجميع ! »

ما ان فرغ سكوبى من عمله اليومى بالمكتب ، حتى ركب سيارته فى الطريق الى كوخ هيلين ، وكان يقول لنفسه وهو يركز نظراته على الطريق : « لشد ما كانت حماقتى ! . كيف أتخلى عن الحياة من أجل حب .. حب كان كالكابوس المزعج ، ثم صحت منه ! » نعم .. ان الحياة ائمن من أى شىء فى الوجود .

وكانت الشمس تصب نيرانها على كل شىء ، وتفصد العرق من جبينه ومن يديه القابضتين على عجلة القيادة ، ولكن ذهنه كان مركزا على ما سيحدث بعد قليل . انه سيفتح الباب .. وسيقول كلمات بسيطة قليلة ، ثم يلقه نهائيا على هذه المرحلة الرهيبة من حياته ..

وكان لفرط انشغال ذهنه الا يرى هيلين الواقفة على جانبى

الطريق ، فى الشمس ؟ ولما رآها .. توقف بجوارها وقد افزعه
ما رأى على وجهها من أمارات اليأس والهزيمة والتعاسة .
وقال لها مدهوشا :

– ماذا تفعلين هنا .. فى الشمس .. وبلا قبعة ؟
– كنت أنتظر مرورك ..

– تعالى هنا فى السيارة والا أصابتك ضربة شمس .
فقالته وهى تركب بجواره وقد المتمعت فى عينيها نظرة
ماكرة :

– ابهذه البساطة يموت الانسان ! .

وجلسا جنبا الى جنب .. وراى سكوبى أن فى مقدوره أن
يودعها فى تلك اللحظات بدلا من الذهاب معها الى الكوخ .
ولم يكن يدرى انها هى التى وقفت تنتظره لتودعه نهائيا .
ومن ثم كانت دهشته بالفة حين فاجأته بقولها :

– اعتقد ان النهاية قد جاءت اخيرا يا حبيبى .. اننى لم أعد
قادرة على الاستمرار فى تعذيبك بحبى ، أو فى تدمير حياتك
اخيرا .. دعنى استمر فى الحديث . اننى لم أفكر فى أن النهاية
ستأتى على هذا النحو .. ان غيرنا من العشاق يحبون وينتهون
من الحب وهم سعداء . أما نحن ، فلا .. ان كل غرامنا يبدو
هباء ، ولا جدوى منه . ارجوك .. لا تتكلم .. لقد كنت أفكر فى
هذا الامر منذ أسابيع .. وقد رأيت ان الحل الوحيد هو أن
أرحل .. ولسوف أرحل .
– الى أين ؟ ! .

– قلت لك لا تتكلم ، ولا تسأل .. ولا تظن ان الأمر سيكون
سهلا .. اننى كنت أفضل الف مرة أن أموت على أن أبتعد عنك .
لقد ملأت حياتى .. كل شىء فى حياتى سيدكرنى بك .. واذنا
كان فى مقدور الانسان أن ينسى آته يحيا ، فسوف أستطيع أن
أتسك .. اننى لا ادرى الى أين سأذهب . ولا ادرى ماذا سيكون
امرى بعد ذلك . ولكننى سأشعر دائما أنك فى مكان ما .. وأن
.أقى مقدورى أن اطلبك بالتليفون وأسمع صوتك دون أن تعرف
من المتحدث ..

وقال لنفسه « ولكننى اذا مت ؟ فسوف يسهلّ عليها ان
تواصل حياتها دون هذا العناء كله » .

واستطردت هى تقول :

– ولكننى لن اكتب اليك طبعاً .. ولن احاول الاتصال بك ..
وقال لها :

– كنت فى طريقى اليك لاودعك ايضاً .

– ارجوك .. لا تتكلم .. الا ترى اننى طيبة معك اليوم !
لا داعى لأن ترحل أنت وتدمر مستقبلك .. سأرحل انا . بل ولن
تعرف اين سأرحل . وكل ما ارجوه هو ان تترفق بى الحياة
ولا تدفعنى الى قاع الهاوية ! .

– اوه .. لا .. لا ..

– ارجوك .. انتظر .. ان هذا هو الحل الوحيد لكى تعود
الى كاثوليكتك ، الى طهارتك .. الى التخلص من عبء خطيئتك
الابدية .. اليس هذا ما تريده ؟ .

– ان ما أريده هو الا اكون سبياً فى تعاسة احد .

– انك تريد سلام النفس يا عزيزى .. وسوف يكون لك
ما تريد .. وسيعود كل شئ الى حالته الطبيعية .

ثم وضعت يده على ركبتيها وشرعت تبكى . وتعجب فى
نفسه لهذه الرقة والحنان اللذين ملا نفسها بهذه السرعة !
وعادت تقول :

– اسمع يا حبيبى .. لا تات معى الى الكوخ . لسوف يودع
اكل منا الآخر هنا . وسأهبط أنا من السيارة ، وتعود انت الى
بيتك أو الى مكتبك . وليس هناك ما يمنع من أن نتبادل قبلة
وداع ، لسوف نفترق حبيين .. بلا خصام أو كراهية .

وتبادلا قبلة طويلة . وشعر بقلبها يخفق على قلبه كأنه طائر
وتراقص مذبحاً . وجلسا فى صمت وباب السيارة مفتوح ..
وعلى بعد يسير ، كان باب الكوخ ! .

– اننى لا اصدق ان هذه المرة الاخيرة التى انفرد بها معك ..
وهتف قائلاً بصوت متهدج !

« لا .. لا .. يا حبيبتي .. ان هذا لن يكون »
وقال لنفسه « لو اننى مت ، لاستراحت هى تماما .. لان
الانسان لا يستطيع ان يستمر فى حب انسان ميت .. انه لن
يعيش حتى تتساءل .. ماذا تراه يفعل الآن .. هل هو يضحك
سعيدا .. هل هو بين احضان زوجته .. »
وسمعها تقول :

- اغمض عينيك الآن .. لسوف اهبط واجرى الى الكوخ ..
لا تفتحهما الا بعد ان تسمع الباب ينصفق .. هذه هى النهاية ..
وعاد يهتف قائلا :

« لا .. لا .. لا .. لن اتخلى عنك .. لقد وعدتك بهذا ..
« اننى انا التى اتخلى عنك ، لا انت ..
- ولكن هذا لن يجدى .. اننا متحابان ، وان الفراق لن
يسعد احدنا .. أبدا ..
- واى سعادة يمكن ان امنحها لك اذا استمر الحال على هذا

الموتال ..
فهبظ من السيارة ، واخذ يدها وسار معها الى الكوخ وقال :
- تعالى معى .. لسوف نمض الساعات الباقية معا حتى
ينسدل الليل ، وبعد ذلك ستعرفين ما هو قرارى الاخير ! »

* * *

وعاد الى بيته قبيل منتصف الليل .. وكان يسمع وهو فى
غرفة الجلوس غطيط زوجته لويز فى غرفة النوم العليا .. ومد
يده الى زجاجة الاقراص المنومة وتناولها بطريقة آلية .. لفتا
يحاول ان يعيش .. ولكنه وجد ان حياته ستكون سببا فى تعاسة
اشخاص كثيرين .. فلماذا يتشبث بها ؟ ..

ركم قرصا تكفى لراحته ، وراحة الجميع ! .. عشرة .. عشرين
.. حسنا ! .. انه يضعها فى كفه .. سيتناولها على بضع مرات ..
مع كأس من الشراب ..

وسقطت الزجاجة والاقراص من يده .. وسقط هو على
الأرض بجانبها وقد أمسك جانب صدره الايسر وكانما يحاول ان
يمعد عنه تلك القبضة الحديدية التى خنقت انفاسه ..

« الفصل الثالث عشر »

« النهاية ؛ . »

قال ويلسون :

- لقد أردت أن اظل بعيدا عنك بقدر الامكان حتى تفيق من
هدمة موته .. ولكننى جئت لأعرض عليك خدماتى .
فردت لويز قائلة :

- ان كل شخص هنا كان رقيقا بى .. شكرا .

- لم اكن اعلم انه يعانى من مبادئ ذبحة صدرية .

- كيف لا تعلم وقد كنت جاسوسا عليه ؟ .

- ان مراقبتى له كانت جزءا من مهمتى هنا لأضع حدا لعمليات

تهريب الماس .

ولكننى احبك .

- ما اسهل كلمة الحب على لسانك يا ويلسون .

- الا تصدقينى ؟ ! .

- اننى لا اصدق أى انسان يتشدد بكلمة احبك .. احبك .

احبك .. انه فى الواقع يحب نفسه .

- كأنك لن تقبلى الزواج بى ؟ .

- من يدرى ؟ . فربما أقبل فى يوم ما .. اننى لم أعرف

معنى الوحدة بعد ، ولعل احساسى بها يدفعنى الى قبول الزواج

منك .. ولكن دعنا من حديث الحب الآن .. لقد كان الحبيب

اكذوبته المفضلة .

- لنا جميعا ! .

- كيف كان اثر الصدمة على هيلين يا ويلسون ؟ .

- لقد رايتها بعد ظهر اليوم على البلاج مع باجستر .. وكانت

امس مخمورة فى النادى ! .

- انها امرأة بلا كرامة او حياء .

- الواقع اننى لا ادرى ماذا اعجبه فيها ؟ . (ما انا .. قلن

اخذلك يوما يا لويز ! .)

وكان هذا الحديث يدور بعد وفاة سكوبي بثلاثة أيام . وكان الدكتور ترافير قد ذكر فى شهادة الوفاة أنه مات بالسكتة القلبية . وقال ويلسون :

- اتعرفين اننى ظننت حين سمعت نبأ وفاته أنه انتحر !
- العجيب اننى يا ويلسون اتحدث عنه ببساطة بعد ثلاثة أيام من وفاته ، وذلك رغم انى كنت أحبه .. نعم كنت أحبه أشد الحب .. ولكن يبدو لى الآن أنه خرج من حياتى منذ امد بعيدا جدا ..

ولعل شعور لويز هذا كان راجعا الى انه ، اى سكوبي ، لم يترك وراءه شيئا يذكر .. بضع ملابس قليلة فى البيت ، وبضع أوراق قليلة فى المكتب . ولا شيء آخر .
وقال ويلسون :

- هل كنت تعرفين امر علاقته بها .. طول الوقت ؟
- نعم .. وهذا ما جعلنى اسرع بالعودة من رحلتى الى جنوب أفريقيا . لقد ارسلت الى المسز كارتر خطابا تقول فيه أن علاقته بهيلين زولت أصبحت على كل لسان فى المنطقة . ولم يكن هو بطبيعة الحال يعرف هذا ، لأنه كان يظن أنه نجح فى إخفاء هذه العلاقة عن الجميع .. وقد كاد يقنعنى تماما بأن كل شيء قد انتهى بينه وبينها عندما ذهب الى الطهارة والمناولة فى الكنيسة .

- وكيف استطاع أن يرضى ضميره الكاثوليكي بهذا العمل ؟
- ان بعض الكاثوليكين يفعلون هذا عادة . يعترفون بخطاياهم ثم يرتكبون نفس الخطايا فى اليوم التالى . وكنت اظن أنه غير هذا . ولكن الانسان تنكشف أسراره بعد موته .

- لقد كان يأخذ مالا من يوسف ..
- اننى لم اعد استبعد هذا الآن ..
اقوضع ويلسون يده على ذراع لويز وقال :

— انى شخص مستقيم يا لويز؟ .. واحبك باخلاص ..
 — اعتقد انك صادق فى هذا ..
 ولم يتبادلا القبلات .. لان لويز رأت ان هذا لا ينبغي فى ذلك
 الوقت ؟ واكتفيا بالجلوس جنباً الى جنب ؟ متماسكى الابدن ؟
 منصتان الى الغربان وهى تحط على السقف او تشيل منه ! ..

وقال باجستر لهيلين وهو جالس معها فى الكوخ ؟
 — الا تقدمين لى كاسا يا عزيزتى ؟ ..
 — لقد شرب كل منا اربع كؤوس على البلاج يا جستر ..
 — وما ضرنا لو شربنا كاسا اخرى ! ..
 وقالت هيلين وقد بدا لها انه لا داعى لان ترفص لاحد طلبا
 الى مالا نهاية :

— حسنا .. ليكن ما تريد ..
 — هذه اول مرة تسمحين لى فيها بالدخول الى كوخك هذا ..
 انه مكان جميل مرتب . من كان يظن ان هذه الاستراحة الحكومية
 يمكن ان تكون جميلة هكذا ..
 وقبل شفتيها بحرارة ، وقال بعد ان شرب معها كاسا !
 — هل نتحدث عن الحب ؟ ..
 — اتري ان هذا ضرورى ؟ ..
 — وهل يمكن ان نتاح لنا مثل هذه الفرصة ؟ ! ..
 وقالت لنفسها وهى مستسلمة :
 « لماذا لا .. لماذا لا ؟ .. ان باجستر كان شخص آخر .. لم
 يعد هناك من احبه فى هذه الدنيا .. فلماذا ارفض لاي رجل
 طلبا .. »

واغمضت عينيها وعادت تقول لنفسها ؟
 « اننى وحيدة . حائرة القلب ، لا اشعر بمعنى الحياة » ..
 وقال باجستر بعد قليل بصوت مغمم بالنفوس :
 — انك باردة كالثلج .. الا يمكن ان تحبينى قليلا ؟ ..
 — لا .. لم يعد فى مقدورى ان احب احدا ..

وهتف بانفعال وقضبى !

- ولكنك احببت سكوبى .

- اننى لم اعد احبب احدا . . ولا يستطيع الانسان ان يحب
شيئا . ان الميت لم يعد له وجود ، فكيف نجبه ! .
وهز كتفيه وقال :

- اننى لست حيوانا لامارس الحب مع جسد بلا روح . .
وتنهدت فى ارتياح وقالت لنفسها وهى لا تزال مغمضة
العينين :

- حمدا لله . . ان احدا لن يريد منى بعد اليوم شيئا .

وقال وهو ينصرف :

- ظابت ليلتك يا فتاتى . . سارك فى وقت آخر .

ولم ترد عليه ، وانما شعرت بالدموع تنحدر على وجنتيها فى
صمت . .

* * *

وقالت لويز للأب رانك الذى جاء لزيارتها بعد انصراف
ويلسون :

- هل تعتقد يا ابى انه . . انه كان يريد ان ينتحر قبل ان
تفاجئه الازمة القلبية ؟ ! .

- اننا لا نستطيع ان نحكم على النوايا الخفية التى فى صدر
انسان مات وانتهى امره .

وصمت برهة قبل ان تقول :

- الا تصلى يا ابى من اجلى ؟ ! .

- انه احوج الى هذه الصلاة منك ! .

- هل تعرف كل ما عرفه عنه ؟ ! .

- طبعا لا يا مسز سكوبى . . لقد كنت زوجة له مدة خمسة
عشر عاما ، والقس عادة لا يعرف الا الاشياء البسيطة .

- البسيطة ؟ ! .

فقال الاب رانك فى ضيق :

- اعنى الخطايا . . لان الانسان لا ياتى الينا ليعترف بفضائله

– اعتقد أنك تعرف شيئاً عن علاقته بالمسز رولت .. ان
الجميع هنا يعرفون .

– مسكينة هذه المرأة ..

– لماذا ؟ !

– اننى اشعر بالاسف والعطف على كل انسان جاهل يرتكب
خطايا من هذا النوع .

– لقد كان كاثوليكيا رديئا .

– هذه عبارة حمقاء نقولها دون ان نعرف مدلولها الحقيقى .

– والآخرة .. وعذاب الآخرة .. لا شك انه كان يعرف انه
يُجلب على نفسه العذاب الأبدى .

– نعم .. كان يعرف هذا .. وكان واثقا بأنه لن يكون موضع
الرحمة ، ولكنه كان يثق فى رحمة الآخرين .

– اعتقد يا أبى ان الصلاة من اجله لا تجدى !

فقال الأب فى عنف شديد :

– أرجوك يا مسز سكوبى .. لا تتصورى ان فى مقدورك ؟ أو

فى مقدورى انا ان نعرف شيئاً عن مدى رحمة الله .

– ولكن الكنيسة تقول ...

– انا اعرف ما تقوله الكنيسة ، ولكن الكنيسة لا تعرف أيضاً

الى اى حد يمكن ان تتسع رحمة الله للبشر .

– هل تعتقد اذن ان هناك املا له فى رحمة الله ؟

– أتكهينه الى هذا الحد يا مسز سكوبى !

– لم يعد فى قلبى كراهية له .

– اذن هل تعتقد ان الله اقل رحمة وادراكا من امرأة ؟

فقال فى اضطراب وحريرة :

– ولكن لماذا .. لماذا فعل هذا كله ؟

ـ أيا كان ما فعله فأنا أعتقد أنه كان يحب الله حقاً .
وانحسرت عن نفس لويز موجة المرارة والفضيب والحيرة وهي
تقول :

ـ أعتقد أنه لم يحب أحداً آخر . . .

واجاب الأب رانك

ـ وأنا أعتقد أنك على صواب في هذا . . .

« تمت »

هيئة قناة السويس السفن العابرة لأول مرة خلال شهر مارس عام ١٩٦٣

بلغ عدد السفن التي عبرت القناة لأول مرة خلال مارس الحالي ٥٦ سفينة منها ٤٣ سفينة
عبرت القناة من الشمال و ١٣ من الجنوب الى الشمال .

ومن بين تلك السفن ١٢ ناقلة تزيد الحمولة الكلية منها على ٢٠٠٠٠ طن وهي موضحة
بالكشف التالي :

اسم السفينة	العلم	الحمولة الكلية طن	حمولة البضائع طن	اتجاه العبور
اورسيلا	انجلىزى	٢٢٨٩٠	فارغة	شمال/ جنوب
جولف فن	انجلىزى	٢٧٥٠٧	فارغة	شمال/ جنوب
اسويجو دفندس	ليبيرى	٢١٦٧٨	٢٥٥٦٧	جنوب/ شمال
بيرف اودل	نرويجى	٢٢٩٩٨	فارغة	شمال/ جنوب
داجهلد	نرويجى	٢٦١٦١	فارغة	شمال/ جنوب

جنسيات السفن التي عبرت القناة خلال شهر مارس عام ١٩٦٣ :

السفن التي عبرت القناة خلال مارس ١٩٦٣ ترفع اعلام ٤٢ جنسية مختلفة مقابل ٣٣ جنسية في مارس الماضي . وكان ترتيب الجنسيات المشر الأولى خلال الشهر الحالي :

انجلترا - ليبيريا - النرويج - فرنسا - إيطاليا - هولندا - اليونان - ياما - ألمانيا - السويد .

بينما كان الترتيب في مارس ١٩٦٣ كالآتي :

انجلترا - ليبيريا - النرويج - فرنسا - إيطاليا - اليونان - هولندا - السويد - ياما - ألمانيا .

ومن بين الدول العشر الأولى التي عبرت سفنها القناة خلال الشهر الحالي زادت الحموله الصافية لتسافر من هذه الدول على مثيلاتها العابرة في مارس ١٩٦٣ بالنسبة الآتية :

انجلترا ٣٢٪ - ليبيريا ٣٥٪ - النرويج ٢٣٪ - فرنسا ٤٪ - إيطاليا ٧٪ - هولندا ٦٪ - ياما ١٧٪ - ألمانيا ١٦٪ .

بينما نقصت بالنسبه لليونان بمقدار ٣٣٪ والسويد ١٥٪ .

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الدار القومية للطباعة والنشر

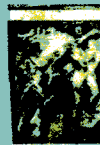
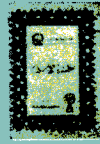


تعمل على تحقيق التوعية الثقافية التي تاريها الرئيس جمال عبد الناصر



الفتاهرة

مركز عالمي للإشعاع الثقافي
كتاب كل ست ساعات



مكتبات التوزيع

نيويورك لندن
الجزائري بيروت
طرابلس بغداد
الخرطوم الإسكندرية
القاهرة



0540402

